مجلة البيان – العدد 80 ، ربيع الآخر 1415هـ / سبتمبر 1994م

كلمة صغيرة

المؤتمر العالمي للسكان والتنمـية ، مـؤتمـــر مشبوه ، يتضح ذلك من خلال ورقة عمله التي بلغت مائتي صفحة ، تضمـنت أمورا مـصـادمـــــة للإسلام من الدعوة إلى تسهيل القضايا الـجـنــســية ، وتشجيع المساوة المطلقة بين البنين والبنات في كل التشريعات، ولدعوة إلى تحديد النســل ، وإشاعة موانع لحمل وسن القوانـيـن التي تبيح عمليات الإجهاض وتلك الدعاوى الباطل للإسلام منها موقف حاسم ولذلك رفضه علماء الإسلام قاطبة .
فلماذا _ إذن تستـضاف تلك المؤتمرات المشبوهة لتطرح سخافاته بدعوى العلم وحرية الرأي وهي تصادم الدين ؟ ، ولماذا لم يعقد هذا اللتان تعـنـيــان مـــــن كثافة سكانية علية وليس لديهما دين يمانع في تبني تلك الدعوى الباطلة ؟!.
إننا في حاجة إلى زيادة النسل مع أسلمة خطط التنمية ، وفـي ذلـك حــــل لكل إشكاليات المؤتمر .
والسؤال المهم لمصلحة من يقام هذا المؤتمر ؟

الافتتاحية

ماذا وراء أمواج السلام.؟!

للإسلامِ مع يهود تاريخ حافل بالصـــراع تخللته صور عديدة لمكرهم وغدرهم مصداقاً لقوله تعالى ((ولتجدن أشد الناس عداوة للذيـن آمـنــوا اليهود والذين أشركوا)) ، ومؤامرات ابن السوداء وميمون القداح وآثارها الخطيرة في تاريخـنــا مـسـطــرة وجهودهم في إفساد تراثنا الإسلامي ببث إسرائيلياتهم معروف وتظاهرهم بالإسلام للكيد له كما فعل (يهود الدونمة)، الــذيــن عملوا على إسقاط الخلافة العثمانية ، لا يجهله أي قـــارئ للـتـاريخ الحديث، وقامت دولتهم على ثرى فلسطينٍ المسلمة بدعم من الإنجليزِ الذين أعطوهم (وعد بلفور) عام 1917 مؤذناً بقيام دولتهم التي قامت فعلاً عام 1948 ، ولم تفلح الحكومــــات العــربية آنـذاك فـي الـتـعـامـل معهم ومواجهتهم ، بل أُوقفت الزحوف المجاهدة المنطلقة لتحرير فلسطين المغتصبة بدعــــوى أن ذلك واجب الحكومات العربية التي انهزمت شر هزيمة ، وتوالت النكبات في عـصــــور القومية العربية والنزعات الثورية العلمانية ، التي لم تكن سياساتها حيال العدو سوى الحرب الكلامية ومجرد التلويح باسترداد الأراضي المغتصبة ليس إلا! وكانت النتيجة المحـتـمــة لتلك السياسات العجيبة الهزائم المتوالية

في أعوام 1956، 1967،1973 مما أوجد إحـبـاطـــاً لــدى الشعوب العربية التي لم تُعد الإعداد المطلوب للجهاد في سبيل الله وهذا ما أدى فيما بعد إلى السقوط في مستنقع الاستسلام للعدو بدءاً بقبول (مشروع روجرز) من قبل (عبد الناصـــــر) إلى صلح السادات في كارثة (الكامب ديفيد) إلى الغرق في الوحل بمهزلة الحكم الذاتي في غزة وأريحا ، التي مازال العدو يمسك بخناقها ، ثم التوقيع بالصلح مؤخراً مع الأردن ، حيث أعلن أن هذا الصلح يؤذن بإنهاء الحرب بين البلدين بعد وعد من أمريكا بالدعم الاقـتـصـادي والتنازل عـــن ديونه، ومد جيشه بالسلاح ، ولا ندري لحرب من؟!
والواضح أن ذلك الصلح مخطط له منذ عشرين سنة على الأقل!وهذا ما أكدته الخطوات التطبيعية السريعة بينهما والمتمثلة فيما يلي:
1- الربط المباشر بين البلدين في الهاتف والكهرباء.
2- فتح نقطتي عبور جديدتين للسياح والرعايا
3- الإسراع بفتح ممـــر جوي بينهما وهو ما حصل بالفعل 4 تعاون قوات الأمن في البلدين لمكافحة الجريمة.
5- اســتـمـرار المـفاوضات حول الشؤون الاقتصادية تمهيداً للتعاون الثقافي الـمـسـتـقـبلي، والكاسب الوحيد في مسألة السلام هذا هو العدو لأمور منها:
1- نجاحه في تفريق الصف العربي والتفرد بكل دولة في سلام مهين
2- التطبيع القادم في الأصعدة السياسية والإعلامية والسياحية ، وأخطر من ذلك التطبيع الثقافي الذي يعني إزالة كل ما في الكتب والصحف والمناهج من كون اليهود أعداء لأمتنا ، ولا ندري ماذا سيصنعون بما في الوحيين
3- انتعاش الاقتصاد الصهيوني بخاصة بعد تطبيق إلغاء المقاطعة العربية وهذا ما بشر به (بيريز) قومه في كتابه (شرق أوسط جديد)
4- تفـريـط الأمـــــة في بناء قوتها بناءً على هذا السلام الموهوم بينما العدو مسلح نـوويـــاً واقتصادياً وإعلامياً ، بما لا يدع مجالاً للمقارنة
إن موقفنا من العدو موقف عقيدة ، وليست المسألة حاجزاً نفسياً يسهل هدمه ، يقول تعالى ((ولن ترضى عنك اليهـــود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم)). ولاشك أن التداعي السريع على هذا السلام أو بتعبير أدق(التطبيع) هو تجاهل لموقف عقيدتنا وجهل بحقيقة الصراع مع العدو ، مما أدى إلى الــسـيــاسات العقيمة على كل الأصعدة ، حيث ووجه الاتحاد بالتفرق وووجهت القوة بالضعف والعقيدة بالأيدولوجيات الفاشلة.
إن الحل الإسلامي الذي يعرفه الـعـــــدو ويخشاه مازال معطلاً من إعداد للعدة وتجييش للجيوش وتربية للأمة التربية الجهاديـة وتحكيم لشريعة الله واستقلالية للقرار بعيداً عن المؤثرات الأجنبية ، وهذا الحل هو ما يخشاه قادة العدو ، يقول (بن جوريون): »لا نخشى إلا الإسلام ، هذا المارد الذي بدأ يتململ من جديد ويقول: إن ما أخشاه أن يظهر في العالم العربي: محمد جديد«

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

إن واقعنا اليوم ـ في خضم هذه الأحداث المتوالية ـ يضع علامات استفهام كبيرة تحتاج إلى جواب.
لماذا ينحى الإسلام من المواجهة وهو الحل الحاسم لغطرسة العدو؟
لماذا تضرب الحركات الإسلامية المـجـاهــــدة في كل بلد عربي عند التمهيد لكل سقوط واستسلام للعدو؟
لماذا يصادر الرأي المعارض للاستسلام ويعتبر أهله دعاة انقسام وتفريق للصفوف ويحاربون بكل الوسائل الإعلامية؟
لماذا تستخرج المـوافـقة للاستسلام للعدو بأساليب مزيفة وإدعاء أن ذلك رغبة الشعوب مع محاولات إغرائها بوسائل مكشوفة لقبول تلك التوجهات؟!
كيف يفرط في أراض إســـلامية مغتصبة ويكتفى ببعض ما احتل بعد نكبة 67 فقط ، وما قبلها أليست تلك أراض إسلامية محتلة.؟!
ولا ندري متى يُكَف عن الـتـزويـر وتسمية الأشياء بغير اسمائها ، ففي هذه الأيام يسمى هذا السقوط بسلام الشجعان! وما عـهـدنا الشـجـعـان يفــــرطون في مبادئهم ويتهاونون في حقوقهم.
وعلى كل حـــــال يجب أن لا نيأس من روح الله ونصره ، متى ما صدقنا معه ، وأعددنا العدة ، وجاهدنا في سبيله بكل السبل الشرعية المتاحة ومن أعظمها إيقاظ الحس الإسلامي في الشـعــــوب الملبس عليها ، ببيان حقيقة أعدائها والموقف منهم ، وتبشيرها بمثل قول الرســول الكريم -صلى الله عليه وسلم- (»لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا يهود حتى يـقـــول الحجر وراءه اليهودي يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله)*« ، فلماذا نعطي الدنية في ديننا والله تعالى يقول:((»ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون«))

الهوامش :

* رواه البخاري في صحيحه ، باب قتال اليهود من كتاب الجهاد ج1/232

في إشراقة آية

وخلق الإنسان ضعيفاً (1)

د. عبد الكريم بكار

الإنسان هذا المخلوق العجيب هو صنعة الله تعالى المحكمة الدقيقة هذا الإنسان الذي يبدو للوهلةالأولى في منتهى البساطة مـشـتمل على كل أشكال التعقيد، إنه يبدو قوياً مخيفاً مع أنه في حد ذاته ضعيف في كل جانب من جوانب شخصيته ضعفاً لا يوازيه شيء سوى ما يدعيه من القوة والعزة والسطوة!
إن هذه الكلمات القرآنية الثلاث قد لـخّـصـت لـنا جوهر الإنسان ، لكن دون أن تضع لنا الإصبع على مفردات ذلك الضعف ومظاهره ليـظـــل اكتشافها

التدريجي عبارة عن دروس وعظات مستمرة تذكر الإنسان بحقيقته ، وسوف ينفذ العمر دون أن نحيط بحقيقة أنفسنا.
ويمكن أن نسلط الضوء على بعض ما أدركناه من ضعفنا وبعض ما يجب علينا تجاه ذلك في الكلمات التالية:
1- تَبَصّر بني الإنسان عل الرغم من التقدم المعرفي الكبير بأجسامهم مازال محدوداً إلى يوم الناس هذا ، فهناك أجزاء من أجسامنا مازالت منـاطـــق محرّمة ، فعلم الدماغ مازال علم إصابات أكثر من أن يكون علم وظائف وتشريح ، ومركبّات الأنسجة والسوائل المختلفة في أجسامنا وتفاعلها مع بعضها مازال الكثير منها مجهولاً ، فإذا ما دلفنا إلي مناطق المشاعر والإدراك وصلاتها وتفاعلاتها بالجوانب العضوية ، وجـدنـــا أن كـثـيـراً مما لدينا ظنون وتخرصات أكثر من أن يكون حقائق.
فــإذا مـــا خطونا خطوة أخرى نحو العالم الوجداني والروحي وجدنا أنفسنا في متاهات وسراديب، حتى إن الفردية لتطبع كل ذرة من ذرات وجودنا المعنوي، مـمـا يـجـعـــــل إمكانات الفهم ووضع النواميس والنظم العامة أموراً قليلة الفاعلية محدودة النجاح.
إن الـبـاحـثـيـن فـي مجالات علوم الإنسان يجدون الطرق متشعبة ملتوية كلما تقدموا نحو الأمام، على حين أن الباحثين في علوم الطبيعة يستفيدون من أنواع التقدم المعرفي الأفقي في إضاءة ما بقي مظلماً من مسائل الطبيعة والمادة. وتقدّس الله تعالى إذ يقول: ((ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا))[الإسراء: 85]
ويزداد ظهور ضعف الإنسان حين يدخل الإنسان في صراع بين عقله ومشاعره حيث يجد نفسه عاجزاً عن دفـــع مـشـاعـره والخلاص من وساوسه والتغلب على مخاوفه أو معرفة مصدرها في بعض الأحيان ، ليدرك المرة تلو المرة أنه مع طموحه إلي السيادة على الأرض وغزو الفضاء قاصر عن السيطرة على نفسه!.
إن فاعلية كل رأي ودقته نابعان من مجموعة العمليات التي يستند إليها فحين تكون تلك العمليات ظنية وعائمة فإن آراءنـــا الـطـبـيــة والنفسية سوف يظل كثير منها هشاً ونسبي الصواب.
2- هذا الإنسان الضعيف لا يستطيع أن يبصر الأمــــر إلا ضمــن شروط ومعطيات زمانية ومكانية وثقافية خاصة ومحدودة، فهو لا يستطيع أن يتخلص مـــــن محـدوديــة الرؤية وضرورة النظر من زاوية معينة، وهذا هو السرّ الأكبر في أننا لا نملك أن نتفـق حول كثير من ا لمسائل والقضايا المطروحة.
إن خصوصية تكويننا وظروفنا ومشاعرنا تدفع مواقـفـنــا وآراءنـا إلـى الـتـفـرد ، ومن ثم فإننا نعجز عن توحيد الرؤية وبسط الرأي الواحد في أكثر شؤوننا.
3- نحن عاجزون عـــــن إدراك الأشكال النهائية لأكثر حقائق هذا الكون دفعة احدة ، فالحقائق لا تسفر لنا عن كل أبعادها وأطوارها إلا على سبيل التدرج ،

ومن ثَمّ فإن الإنسان الضعيف يظل يكتشف عجزه باستمرار ، وكأن ما يحرزه من التقدم اليوم ليس إلا عنواناً على ما كان يجهله بالأمس ، وما سيصل إليه غداً ليس إلا رمزاً على ما يجهله اليوم ، ومن ثم فإن التغيير والتطوير يظلان ملازمين لكل إنتاجاتنا وإبداعاتنا علي مقدار ما نحرزه من تقدم في العلم والفهم ، والمقولة التي لا يفـتأ هذا المخلوق الضعيف يرددها: »لو استقبلت من أمري ما استدبرت لفعلت كذا ، ولقــلـــت كـــذا..، وانطلاقاً من هذا فإن من سمات النظريات العلمية الناجحة أن تكون منفتحة وذات قابلية جيدة للإضافات التي تأتي بها حركة كشف الحقائق وإدراك المجهولات.
4- هذا الإنسان الضعيف لا يستطيع أن يجزم بشيء مقطوع من حوادث المستقبل ، فمهما أدرك المرء الظروف والعوامل والمؤثرات التي تحيط به لم يستطع أن يعرف ماذا سيحدث له بعد شهر أو يوم أو ساعة ، وأعظم أطباء الدنيا لا يستـطـيـع ضمان استمرار حياته أو حياة غيره ساعة من زمان ، ومن ثمّ فإن القلق والخوف من المستقبل هما الهاجس الجاثم فوق صدر الإنسان الحديث الذي فقد الإيمان وفضيلة الدمج بين الحياة الدنيا والآخرة ، والمتأمل في كثير من الأقوال والتصريحات والدراسات يجد أن خبراء الاستراتيجية هم أكثر الناس مجازفة ولا سيما عندما يشرعون في سرد التفاصيل للأحداث المتوقعة ، حيث تقصر طاقات البشر وإمكاناتهم عن التنبؤ بها(2).
5- أكثر ما يظن فيه عجز الإنسان وضعفه هو الإمكانات التي يمتلكها لفهم الواقع المعاش بكلياته وجزئياته ومشكلاته وخباياه ، وقد كثرت في أيامنا هـــذه الدعوة إلى فهم الواقع وفقهه ، وهي دعوة مهمة ، لكنها تخفي في طريقة طرحها نوعاً مـــن التبسيط للمسألة ، حيث إن فهم الواقع أو مقاربته مسألة من أعقد ما يواجهه العقل البشري ، فالقيم التي نؤمن بها تتحكم إلى حد كبير في رؤيتنا لذلك الواقع ، وكثيراً ما تشكل حائلاً بيننا وبين رؤية حقيقة ما يجري فيه. والعقل الإنساني حتى يلامس الواقع فإنه يـفــتـــرض ثباته وجموده، على حين أن الواقع يظل محطّة لتدفق التحولات المشعثة الكثيرة والحادة أحياناً مما يجعل إدراكنا قاصراً عن ملاحقته ، وبالتالي فإن أحكامنا تصدر على أشـيـــاء فائتة ومنتهية ومن هنا فإنه لابد من بناء (إشكالية) ، يتم من خلالها تقسيم الواقع إلـى قضايا يمكن تحديدها وتقديم إجابات وحلول لها ، والنمط الذي سنصور الواقع من خلاله هو عبارة عن صورة عقلية مركبة تدخل فيها رؤانا العقدية إلى جانب العناصر المعرفية والقيم الاجتماعية التي ترشد حركة المجتمع ، ومادام كل ذلك متفاوتاً عند الناس فإن عجزنا عن لمّ الخلاف سوف يظهر أكثر وأكثر عندما نحاول تقويم الواقع وإصدار الأحكام عليه.
وهذا ما سيؤدي بالتالي إلى اختلافات كثيرة في مناهج الإصلاح ومشروعات الـنـهـــوض الحضاري ، وهنا يظهر مرة أخرى مأزق وهن الإنسان حيث إن التقدم العلمي لا يتحقق دون الإغراق في التخصص ، والتقدم يستمد مشروعيته وأهميته من كونه يقدم الأدوات التي تساعد على إصلاح شأن

الإنسان وترشيد قراراته ، لكن الإغراق في التخصص يحول دون فـهـم الـواقـــع ودون فهم حاجات الإنسان المختلفة من منظور شامل ، إذ إن مجال التخصصات هو الجزئيات ، وفهم الواقع الإنساني يحتاج إلى رؤى ونظريات كلية لا تتوفر عادة عند الاختصاصيين.. ومن هنا ندرك لماذا نرى تقدم المعرفة وتأخر الإنسان وانحداره شيئاً فشيئاً نحو البربـريـــة! إننا عاجزون عن رعاية شؤوننا إذ اما ابتعدنا عن الانتفاع بالهداية الربانية.

الموقف الموضوعي مما سبق:

إذا كان الإنسان على ما ذكرنا من العجز والقصور فإن عليه أن يطامن من نفسه ، ويخضع لقيوم السموات والأرض خضوع العارف بضعته المدرك لعظمة خالقه متخذاً من ذلك باباً للأوبة والتوبة الدائمة.

وعلى الإنسان مع ذلك أن يحترم عقله وقدراته فلا يزجّ بـــه في مجاهيل وغيوب لا يملك أدنى مقدمات للبحث فيها ، حتى لا يتناقض واقعه مع ذاتـــه ومن المنهجية القويمة أن نعلّم أنفسنا الصبر على الاستقراء والتأمل وعدم المسارعة إلي إطـــلاق الأحكام الكبيرة قبل التأكد من سلامة المقدمات التي تستند إليها ، وحين نصل إلي حكـــم ظني فإنه علينا أن نصوغة بطريقة تُشعر المطلع عـلـيـه بذلـك ، فلا نسوق القطعيات مـســاق الظنيات ، ولا الظنيات مساق القطعيات. ويروون عن الإمام مالك رحمه الله أنه كان كـثـيـراً ما يردد قوله تعالى ((إن نظنُّ إلا ظنَّاً وما نحن بمستيقـنين))[الجاثية: 32] وذلك عندمـا يُستفتى فيفتي، وقد عتب الإمام الجويني على الماوردي أنـه كـان فـي كـتـابـه »الأحكام السلـطـانية« يسوق المظنونات والمعلومات على منهاج واحد« (3). مع أن النصوص في مجالات »السياسة الشرعية« قليلة ، وأكثر المسائل فيها مبنية على الاجتهاد.

إن الوضعية التي وضع الله تعالى فيها الإنسان تحتم أن نظل في حالة من الاستعداد الدائم لقبول الحق أياً كان مصدره والتراجع عن الخطأ وتعديل الرأي وامـتـــلاك فضيلة المرونة الذهنية ، وعلى الله قصد السبيل.

الهوامش:

(1) النساء: 28

(2) اقرأ إن شئت ما كتبه (نيكسون) في كتابه (نصر بلا حرب) عن المستقبل الذي يتوقعه لروسيا ثم ما آلت إليه الأمور!.

(3) انظر الغياثي: 142 تحقيق د. عبد العظيم الديب

من فقه الدعوة

نظرات تربوية في خلق الصدق

-3-

عبد العزيز بن ناصر الجليل
نشــرت الحلقتان الأولى والثانية من هذه الدراسة في العددين (75) و(76) من هذه المجلة، ولـظـــــروف فـنـية تأجلت هذه الحلقة الأخيرة حيث يضع الكاتب بين يدي القارئ هذه الهموم والأشجان في صورة رسائل إلى من يهمه الأمر.
- الـبـيـان -

الرسالة الأولى إلى علماء الأمة وطلاب العلم فيها:

أوصي نفسي وإياكم بما أوصى به ربنا عز وجل عباده المؤمنين ((يا أيها الذين آمنوا اتقوا وكونوا مع الصادقين))[التوبة: 119].
يا علماءنا الأجلاء: يا من تعقد عليهم الأمة أملها بعد الله سبحانه في إنقاذها مما هي فيه من جهل ومـحـــن وبلاء ((اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)) وإن من لوازم الصدق مع الله سبحانه وتعالى ومع عباده المؤمنين ، الحذر الشديد من الدنيا وزينتها وزخرفها ، فلا أضر على العالم منها ، ولـــذا كان سلفنا الصالح يحذرونها أشد الحذر ، فبارك الله في علمهم وعملهم ، وأصلح الله بهم ما فسد.
أيها العلماء الأجلاء: إن أمـتـنـــا الإســلامية تمر في هذا الزمان بمحن شديدة وهي تنتظر كلمتكم ، فإذا سكتم فمن لعقيدة الأمة التي يسعى الأعداء لإفسادها ومن لدماء الأمة التي تسفك وتستباح يوماً بعد يوم ، ومن لأعـــراض الأمة وأخلاقها التي تنتهك باسم الحرية والتقدم والتحضر ، ومن لأموال الأمة واقــتـصـــــادها الذي تسري فيه نار الربا والبيوع المحرمة؟!
ودعـــاؤنا إلى الله عز وجل أن تلتحم صفوف المصلحين في هذه الأمة من علمائها ودعاتها ومجاهـديـهـــا وقادتها ليكونوا يداً واحدة في الإصلاح والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، راجياً أن تقبلوا هذا التذكير ولو صدر من ابنكم الصغير.
ولكم في سيرة الإمـــام أحمد بن حنبل رحمه الله قدوة حسنة ، فقد استفاد في محنته من أعرابي عامي... ذكر الذهبي في السير: قال أحمد بن حنبل: ما سمعت كلمة منذ وقعت في هذا الأمر يعني محـنـتـــه أقوى من كلمة أعرابي كلمني بها في رجعة طوق ، قال: يا أحمد ، إن يقتلك الحق مُـت شهيداً ، وإن عشت عشت حميداً ، فقَوى قلبي)(1).

الرسالة الثانية إلى دعاة الأمة ومجاهديها:

أوصي نفسي وإياكم بما أوصى به الله سبحانه عباده المؤمنين: ((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين))[التوبة: 119].
وإن من لوازم الصدق ومقتضياته أن تكون الدعوة إلى الله عز وجل والجهاد في سبيله لأجل الله عز وجل وابتغاء مرضاته ، فلا تكون لأجل مال أو منصب أو جاه أو كسب شهرة أو التعصب لشيخ أو حزب أو طائفة ، لأن كل ذلك

ذاهب وضائع وممحوق البركة في الدنيا والآخرة ، فحري بنا أن نحاسب أنفسنا ونحن في طريق الدعوة والجهاد في سبيل الله ، ونتبين مدى صدقنا في دعوتنا إلى الله سبحانه ، وهل هي خالصة لله وحده أم يشوبها ما يشوبها من أعراض الدنيا الفانية..؟!

وإن من لوازم الصدق في الدعوة إلى الله سبحانه أن يبادر الداعية إلى تصديق قوله وما يدعو إليه بفعله ، وأن لا يقول بلسانه ما ليس في قلبه ، أو يرغب في فعل ولا ينوي القيام به ، أو يظهر للناس حرقة وغـيـــرة على هذا الدين والأمر لا يتعدى شقشقة اللسان ، والقلب مشحون بأمر الدنيا وشهواتها وغارق في وديانها ، إن كل ذلك مما ينافي الصدق في الدعوة إلى الله عز وجل.

مع أهمية سلامة قلب الداعية من الغل والحقد والحسد على إخوانه الآخرين من الدعاة، وإنما يُكنّ المحبة لكل مصلح يدعـــو إلى الخير، ويتعاون معه في طاعة الله عز وجل، ولا يحتقر جهده مهما قل ، ولا تراه إلا حـريـصـاً وساعياً إلى اجتماع الكلمة ووحدة الصف ، فالداعية الصادق يكره الفرقة والاختلاف إذا لم يـكــن في أصول الدين وكلياته ، والدعاة الصادقون يرحم بعضهم بعضاً ، ويرفق بعضهم ببعض، ويتناصحون فيما بينهم.

كما إن الصدق مع الله سبحانه في الدعوة والجهاد يفرض على المسلم أن يكون على بصيرة فيما يدعو إليه ويجاهد من أجله ، وهذا يلزم التفقه في الدين والتبصرة فيه بما قال الله عز وجل وقال رسوله -صلى الله عليه وسلم- وفهمه الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

وإن من لوازم الصدق في الدعوة إلى الله سبحانه ، الحــذر من كيد الأعداء المتربصين بهذا الدين وأهله من الكافرين والمنافقين ، وبخاصة في زمانـنـــا هذا الذي تنوعت فيه أساليب المكر والخبث ، فحري بالداعية الصادق أن يتفطن لدسائس الأعداء ودجلهم ونفاقهم ولو ألبسوا ذلك كله لبوس الحكمة والمصلحة إن التنازل اليسير من الداعية إلى الله سبحانه لا يقف عند حد ، بل يتبعه تنازلات وتنازلات ، لأن أعداء هذا الدين لا يكتفون بالقليل من الداعية وقد حذر الله سبحانه نبيه -صلى الله عليه وسلم-مـــن هذا الخطر فقال: ((فلا تُطِعِ المكذبين * وَدُّوا لو تُدْهِنُ فَيُدْهِنُون))[القلم: 8-9]، والحقيقة التي ينبغي أن يعيش فيها أصحاب الدعوة إلى الله هي هذه الحقيقة التي لقنها الله لصـــاحب الدعوة الأولى -صلى الله عليه وسلم- وهي أن التكليف بهذه الدعوة تنزل من عند الله فهو صاحبها، وأن الحــق الذي تنزلت به لا يمكن مزجه بالباطل الذي يدعو إليه الآثمون الكفار، فلا سبيل إلى التعاون بين حقها وباطلهم، أو الالتقاء في منتصف الطريق بين الـقـائــم عـلـى الـحـق والقائمين على الباطل، فهما منهجان مختلفان وطريقان لا يلتقيان، فأما حين يغلبه الباطل بقوته وجمعه على قلة المؤمنين وضعفهم ، لحكمة قضاها الله

فالصبر حينئذ حتى يأتي الله بحكـمــــه والاستمداد من الله والاستعانة بالدعاء والتسبيح ، وهما الزاد المضمون لهذا الطريق.
إنها حقيقة كبيرة لا بد أن يدركها ويعيش فيها رواد هذا الطريق فالمحاولات كثيرة التي حاول المشركون مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-فيها المساومة على الدعوة ، ولكن الله عصم مـنـهــا رسوله ، وهي محاولات الطغاة مع أصحاب الدعوات دائماً ، محاولة إغرائهم لينحرفوا ولو قليلاً عن استقامة الدعوة وصلابتها ، ويرضوا بالحل الوسط الذي يغرونهم به في مقابل مغانم كثيرة ، ومن جملة الدعاة من يفتن بهذا عن دعوته لأنه يرى الأمر هـيناً ، فأولئك لا يطلبون منه أن يترك دعوته كلياً ، إنما يطلبون تعديلات طفيفة ليلتقي الطرفان في منتصف الطريق.
ومن لوازم الصدق فـي الدعوة أن يحذر الداعية من الكذب على إخوانه المسلمين والدعاة المصلحين ، ومن ذلك إشاعة الأخبار قبل التحقق من صحتها واستخدام الأساليب الملتوية والمراوغات بحجة السياسة والمصلحة.. كل هذا لا يتفق وصدق الداعية وسلامة قلبه.
ومن لوازم الصدق فـي الـدعـــوة إلى الله سبحانه أن يعتني كل مسلم منا بنفسه بالوسائل الشرعية للتربية ، وذلك في وسط بيئة صالحة معروفة بصحة الفهم وحسن القصد ، يتربى معها ، ويعد نفسه للتضحية في سـبـيــل الله عز وجل وبذل المال والنفس في ذلك ، وأن يوطن نفسه لابتلاءات الطريق ومشاقه، التي هي سـنـــة من سـنن الله عـز وجل لتمحيص الصفوف ، قال تعالى: ((ألم * أحسب الناس أن يتركـــوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين))
[العنكبـوت:2-3] فلا يتبين الصادق في دعوته من الكاذب إلا بالابتلاء نســأل الله عز وجل العافية والصبر عند البلاء.
إن الداعية الذي يهمل نفسه فلا يربيها ويعدها للبيع على الله عز وجل يوشك أن ينهزم وتخذله نفسه عند أول هزة وأول اختبار ، مع أنه يحب لنفسه غير ذلك مما يعيشه في حال الرخاء والأمــــن من الحماس العاطفي والكلام الذي لا يجاوز التراقي ، يقول سيد قـطـب رحـمــــه الله : »إن العقيدة وطريقها لشاقة بعيدة ، تتقاصر دونها الهمم الساقطة والعزائم الضعيفة ، إن تـكـالـيـف العقـيــدة هو جهد خطر ، تجزع منه الأرواح الهزيلة والقلوب الخاوية ، ولكنه الأفق الذي تـتـخــاذل دونه النفوس الصغيرة والبيئة الهزيلة ، قال تعالى: ((لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصــــداً لاتـبـعــوك ولكن بعدت عليهم الشقة)) [التوبة: 42](2).
وإنني بهذه المناسبة أوصي نفسي وإخواني الدعاة والمجاهدين أن لا نتكلم في أمر ، أو نقدم على موقف من مواقـف الدعوة حتى تتوفر فيه الشروط التالية:

1- الاطمئنان التام أنه الحق الذي يحبه الله تعالى ، وإعداد النفس لتحمل تبعاته.
2- الاطمئنان التام على أن القيام في هذا الأمر هو لله سبحانه وحده وابتغاء مرضاته.
3- الاستعانة بالله وحده في تحقيق هذا الأمر والثبات عليه إذ لا قدرة للعبد لحظة واحدة بدون عون الله وتوفيقه.
إذن يا إخواني الدعاة: إن الأمر جد ليس بالهزل.
قد هيؤوك الأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

الرسالة الثالثة إلى المربين في هذه الأمة:

أوصي نفسي وإياكم بما أوصى به الله سبحانه عباده المؤمنين ((يا أيها الذين أمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين))[التوبة: 119].
أيها المربون: إن التربية لها معنى أوسع من التعليم وتلقين المعلومات فالتربية هي الجهد الذي يبذله المربون في كل مجتمع من آباء ومعلمين وغيرهم في إنشاء الأجيال القادمة على أساس العقيدة التي يؤمنون بها ، ومنحهم الفرصة الكافية لتشرب معاني الدين والتضحية من أجله والاعتزاز به بين الأمم فالأمة الجادة هي التي تربي أبناءها طبقاً للعقيدة التي تدين بها لله تعالى ، وتسعى لنشرها بين الأمم ، حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله تعالى ، وهذه مهمة المربين في هذه الأمة فما أثقلها من تبعة ، وما أشرفها من رسالة.
ومن لوازم الصدق أيها المربون الكرام أن تصدقوا مع من ولاكم الله تربيتهم وتعليمهم ، وذلك بتعليمهم الخير ، وربطهم بأبطال هذه الأمة ورعيلها الأول ، وتحذيرهم من الشر وأهله ، وتبصيرهم سبيل المجرمين وأفكارهم الخبيثة وتفنيدها والتحذير منها.
ومن لوازم الصدق في التربية إعداد المناهج الكريمة المستمدة من الكتاب والسنة، وفهم الصحابة وفقه الواقع الذي تعيشه الأمة، فعلى المسؤولين عن مناهج التعليم في المجتمعات المسلمة أمانة عظيمة وتبعة ثقيلة، فليصدقوا مع الله عز وجل في أمة محمد ص وأبنائها، فلا يختاروا إلا ما فيه الخير والإصلاح وتنشئة الأجيال على العقيدة الحقة والأخلاق السامية، وأن يردوا ويسقطوا كل ما من شأنه إفساد العقيدة والأخلاق والأفكار والهمم ، فنحن أمة ذات رسالة عظيمة خالدة ينبغي للناشئة أن يدركوا رسالة أمتهم ، وأنها خير أمة أخرجت للناس.
أيها المربون من آباء ومعلمين: إن الله سبحانه سائلكم عما استرعاكم فأعدوا للسؤال جواباً ((واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله))[البقرة: 281] تذكروا أثر العمل الطيب، والسنة الحسنة حين تسري في الأمة وينتشر الخير بسببها، فتنالوا أجر ذلك عن كل من تأثر به، والعكس بالعكس والعياذ بالله تذكروا أثر العمل السيء والسنة السيئة حين تسري في أبناء الأمة ويتربون عليها

فستنالوا وزر ذلك ووزر من تأثر به نعيذكم بالله من هذا المآل، وهذا مصـداق قولـه -صلى الله عليه وسلم- »من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها«(3).

ومن لوازم الصدق في التربية: أن يربط الأبناء والطلاب في حياتهم بالأهداف الـعــالـيــــة الـنـبـيـلة، ولا يربطون بالتوافـه من الأمـور والأهداف الهابطة لأن النظرة السائدة اليوم في أكثر بـيـوت المسلمين ومدارسهم: أن طلب العلم قد ربط بالمصلحة الدنيوية ، وأنها وسيلة للعيش ولا يوجد في جو المنزل أو جو المدرسة إلا من رحم الله من يقول للمتربي إن لك أمة تنتظرك، وأن لـك دوراً ينـتـظــرك فـي الـدعـوة إلى التوحيد وهداية الناس بإذن الله تعالى والجهاد في سبيله عز وجل والذود عن حمى الأمــــة وعقيدتها، إن هذا النوع من التربية قليل، فعلى المربين الصادقين مع ربهم سبحانه أن يحيوا هذه المعاني عند إخوانهم المربين ويصبغوا بها المناهج المعدة لذلك، وينشروها في صفوف أبنائهم وطلابهم حتى يخرج جيل قوي متماسك يشعر بانتمائه لهذا الدين، ويشعر بمسؤوليته ليتولى هو بدوره إكمال الطريق، وتربية الأجيال التي تأتي بعد ذلك.

وبقيت كلمة أخيرة أوصي بها نفسي وإخواني الآبــاء، ألا وهي الصدق مع الله سبحانه في جعل البيت محضناً من محاضن التربية الكريمة للأبـنــــاء والبنات والإخوان والأخوات والزوجات، وذلك بعمارته بذكر الله عز وجل ووجود الـقــدوة الـصـالـحـــة، وتطهيره من أسباب الرجس والفساد، فكلكم راع ومسؤول عن رعيته.. إن العجب كل العجب من أناس أنعم الله عليهم بنعمة الأموال والأولاد، ثم هم يخربون بيوتهم بأيديهم ويلـقــون بأنفسهم وأهليهم إلى النار، والله تعالى يقول: ((يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة))[التحريم: 6].

إن أحدنا لو رأى ابنه أو ابنته أو أخاه أو أخته أو زوجته يتعرض أحدهم لهلاك في الدنيا بحريق أو غرق أو سقوط من شاهق، لهـب مـســرعاً لإنقـاذه وإن لم يكن قريباً منه صاح به محذراً من السقوط في المهلكة، وإن الله سبحانـــه يحذرنا من نار تلظّى لا تأتي نار الدنيا عندها إلا جـزءاً من سـبعين جـزء منها ومع ذلك لا يتحرك الكثير منا في إنقاذ نفسه وأهله منها ((قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون))[التوبة: 81].

الرسالة الرابعة إلى الإعلاميين في هذه الأمة:

أوصي نفسي وإياكم بما أوصى بـه عـباده المؤمنين سـبحانه عز من قائل: ((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين))[التوبة: 119].

أيـهـــــــا المؤمنون من إعلاميي هذه الأمة: إني أخاطب فيكم عقيدتكم الإسلامية، الـتـي تحملونها بـيـن جـــــوانحكم التي تحدد هويتكم بين بني البشر وترفع رؤوسكم بين بني الإنسـان ، أخـاطب فـيـكـم غيرتكم الإسـلامية

ومروءتكم العربية ، وأخلاقكم العريقة التي تميز المسلم عن غيره، أخـاطـب فـيـكــــم الأمانة العظيمة التي حملكم الله إياها من خلال مسؤولياتكم الخطيرة التي تتولونها أخاطــب فيكم المسؤولية التي أناطتها الأمة بكم لتربوا أبناءها على الإيمان الصادق والعفة والطهارة والعزة والكرامة.
أيها الإعلاميون المؤتمنون على عقيدة الأمة وأخلاقها: اصدقوا مع ربكم سبحانه في الوفاء بما عهد إليكم ((وأوفو بالعهد إن العهد كان مسئولا)) [الإسراء: 34] ، ((ولا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون)) [الأنفال: 27].
واصدقوا مع أمتكم المسلمة التي أمنتكم دينها وأعراضها وعقولها وأفكارها ، فلا تخونوا أمتكم ، وكونوا عند حسن ظنها بكم.
إن إعلام أي أمة يعبر عن عقيدتها وهويتها ، وإذا أردنا أخذ صورة سريعة عن أي أمة أو مجتمع ، فلننظر إلى إذاعتها وتلفازها وصحفها وما ينشـر فيها فإن ذلك يدلنا على ما يقوم عليه هذا المجتمع من عقيدة وأخلاق.
إن لكل أمة هوية ، فأين هويتنا الإسلامية في في كثير من إعلام دولنا؟!
إن الإسلام ليس كلمة فـحـســب ، ليس عقيدة مستكنة في القلب فحسب بل الإسلام هو الاستسلام لله عز وجل وحده في جميع شؤون الحياة ، قال تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة))[البقرة: 208].
هذا هو الإسلام الذي جاء من عند الله عز وجل ، وإن الناظر في إعلام المجتمعات المسلمة اليوم ليرى ازدواجية وانحرافاً ، وهذا يعني أحد أمرين:
1- أن يكون هـنــاك جهل بحقيقة هذا الدين ، وأنه بالإمكان أن يكون المرء مسلماً بقلبه ولسانه فقط ثم يفعل بعد ذلك ما يشاء ويعمل ما يحلو له أن يعمل مادام أنــه يـنـطــــق الشهادتين، فالهوية التي يحملها هي الإسلام وهذه عقيدة المرجئة التي أفسدت في الأرض ودخل من خلالها العلمانيون الذين يفصلون الدين عن الحياة، ويجعلونه عقيدة مستكنة في الضمير وبين جدران المساجد فحسب!!
2- أو أن حقيقة الدين ومفهومه الواسع واضحة في أذهان القوم ، ولـكـنـهـم آثروا الحياة الدنيا ومناصبها وزخرفها على مرضاة الله سبحانه وتعالى والدار الآخرة ، فاشتروا الحياة الدنيا الفانية بالدار الآخرة الباقية فما أشد خسارتهم وأكسد تـجـــــارتهم ، ألا ذلك هو الخسران المبين.
ثم ماذا سيكون جوابك إذا حاكمتك الأمة بأسرها علــى ما قدمت لها من كلمة مسموعة أو مرئية أو مقروءة يوم تكون سبباً في إضلال أبنائها ، أنـاشـــــدك بما معك من الإيمان بالله واليوم الآخر أن لا تغفل عن هذا اليوم الرهيب ، فوالله إنه لـقـــــريب: ((وما يدريك لعل الساعة قريب * يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي شقاق بعيد))[الشورى: 18].

وبـعـد: هذا ما يسر الله سبحانه كتابته حول هذا الموضوع، عسى الله أن ينفع به كاتبه وقارئه في الدنيا والآخرة. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

الهوامش:

(1)سير أعلام النبلاء 11/241.
(2)طريق الدعوة ، ج1 ، ص 96.
(3)صحيح مسلم (كتاب الزكاة ح/1017

سيصدر هذا الموضوع بحلقاته السابقة مع زيادات في رسالة مستقلة إن شاء الله في الحلقة السادسة من »دراسات تربوية في ضوء القران للكاتب.

دراسات اقتصادية

الإسلام والقضايا الاقتصادية المعاصرة
المشكلة الاقتصادية وعلاجها من المنظور الإسلامي
-4-

د. محمد بن عبد الله الشباني

فـي الحلقة السابقة ناقشنا علاقة التوزيع بعناصر الإنتاج ، وبالتحديد دور عنصر العمل باعـتـباره أهم عناصر الإنتاج تأثيراً في وجود المشكلة الاقتصادية وكيفية معالجة الإسلام لعنصــر العمل من ناحية أهميته النسبية من العملية الإنتاجية ، و في هذه الحلقة سوف نتطرق إلى مناقشة عنصر الموارد الطبيعية باعتباره عنصراً من عناصر الإنتاج وعلاقة هذا العنصر بتوزيع الدخل القومي وتأثيره على بروز المشكلة الاقتصادية ، ومعالجة الإسلام لهذا العنصر من عناصر الإنتاج.

يقصد بالموارد الطبيعية وفقاً للمفهوم الاقتصادي: كل ما على سطح الأرض من تربة وبحار وأنهار، وما فوقها من ضوء ورياح، وما في جوفها من ثروات معدنية ، إن هذا العنصر من عناصر الإنتاج هو مجال الاستغلال وهو الذي يمـارس الإنسان دوره فيه من خلال العمل للاستفادة مما أودع الله في أرضه وسمائه من رزق لسد حاجات الإنسان.

الموارد الطبيعية والاقتصاد:

وعلاقة الموارد الطبيعية بالمشكلة الاقـتـصـاديـة تتمثل في مدى الاستفادة مما في الأرض من خيرات ، وتحريك بقية عناصر الإنتاج لاستغلال هـــذه الموارد. إن عدم استغلال الموارد الطبيعية المتاحة بأسلوب اقتصادي سليم يحقق النفع العام وتيسير حاجات الأفراد يساعد على بروز المشكلة

الاقتصادية، فأهمال الموارد الطبيعية وعـــدم استغلالها يؤدي إلى تعطل بقية عناصر الإنتاج الأخرى مما يساعد على تفاقم المشكلة الاقـتـصـــادية كما أن أسلوب الاستغلال للموارد الطبيعية وعدم مراعاة التوازن عند الاستغلال يؤدي إلى استنزاف الموارد أو أهدارها وبالتالي تفاقم المشكلة الاقتصادية أيضاً.

قواعـد وضوابـط:

لقد وضع الإسلام قواعد وأرشد إلى مناهج في كيفية استغلال الموارد الطبيعية بالشكل الذي يخدم اقتصاديات المجتمع ، ويحقق التوازن في استغلال الموارد الطبيعية ، ويزيل ويبعد الوسائل المسببة لإهدار الموارد مما يقلل من تأثير عنصر الموارد الطبيعـيـة في تفاقم المشكلة الاقتصادية.
وترتكز القواعد التي عالج بها الإسلام عنصر الموارد الطبيعية على نـظـرتـــه بأن مـــا في الـسـمـوات والأرض قد سخر لمصلحة الإنسان ومعاشه ، وأن على الإنسان أن يبذل طاقته للاستفادة مما وهبه الله من موارد خلقت لتوفر احتياجات الإنسان المادية ، ويمكن تحديد القواعد التي يأمر الإسلام بتبنيها عند معالجته لعنصر الموارد الطبيعية في الأمور التالية:
أولاً: الحث على استغلال الموارد المعطلة بتوجيه ولاة أمر المسلمين بالتدخل بوضع القواعد والضوابط المؤدية إلى استغلال الموارد المعطلة فقد روى أبو داود عن عبيد الله بن حميد بن عبد الرحمن الحميري أن عامر الشعبي حدثه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: »من وجد دابة قد عجز عنها أهلها أن يعلفوها فسيبوها فأخذها فأحياها فهي له«(1) ، وهذا الحديث يرشد إلى عدم ترك الموارد المعطلة بدون استغلال ، وإن للمجتمع المسلم الحق في التدخل في استغلال هذه الموارد المعطلة حتى ولو كانت ملكيتها ملكية فردية ، وعلى ضوء هذا الحديث يمكن أن تقوم الدولة المسـلـمة بوضع القواعد الإجرائية فيما يتعلق بالمنشآت الصناعـيـــــة، أو الزراعية، أو غيرهـا من الأصول الثابتة المنتجة عند عجز ملاكها عن تشغيلها بالتدخل بتشغيلها؛ لأن هـــذا الإجراء سوف يؤدي إلى التقليل من تفاقم المشكلة الاقتصادية وذلك باسـتـمـــراريـة الإنتاج واستغلال القوى العاملة في هذه المشاريع وعدم تعطلها، وبالتالي الحد من إهـدارها، وحقيقة المشكلة الاقتصادية في العالم الإسلامي تكمن في عجز الدول الإسلامية عن ممارسة دورهـــــا في استغلال الموارد الطبيعية، بل إن إهدار الموارد الطبيعية هو السمة البارزة في الممارسات الاقتصادية لمعظم الدول الإسلامية.
ثانياً: منح الامتياز إذا وجدت علاقة ما بين الموارد الطبيعية وحاجة الناس لفئة من فئات المجتمع على حساب الفئات الأخرى: فالـمـوارد الطبيعية التي يحتاج إليها الناس وهي ميسره وفي متناول الجميع لا يحق لشخص امـتــلاكـهــا وليس للدولة إعطاء حق الامتياز لشخص أو فئة وبالتالي احتكار منافعها، فحبس مورد طبيعي يحتاج إليه الناس وجعله في أيدي فئة معينة من الناس من الأمور المسببة لوجود الـمـشـكلة الاقتصادية سواءً بتعطيل الاستفادة من

هذا المورد أو من خلال احتكاره وحرمان فئات من الناس من الاستفادة منه لعدم قدرتهم على دفع الثمن المطلوب لقاء حق الامتياز أو الإقطاع، ولكن حق منح الامتياز والإقطاع موكول إلى ولي الأمر ضمن احتياج المورد الطبيعي حتى يمكن استغلاله، أي أن المورد الطبيعي بطبيعته التي خلقها الله عليها يحتاج إلى جهد ومال للاستفادة منه، منع الامتياز إنما يعود إلى الموارد الطبيعية الظاهرة التي يمكن لجميع الناس الاستفادة منها مثل الملح أوالكلأ أو التراب أو الرمال وغير ذلك من الأمور الظاهرة عـلـي وجــه الأرض، التي يمكن للناس الاستفادة منها مباشرة، وقد أوضح الرسول عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن ماجه عن ثابت بن سعيد عن جده أبيض بن حمال: »أنه استقطع رســول الله -صلى الله عليه وسلم - الملح الذي يقال له ملح سدّ بمأرب فأقطعه له ، ثم إن الأقـــــرع بن حابس التميمي أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله إني قد وردت على الملح في الجاهلية وهو بأرض ليس بها ملح ومن ورده أخذه ، وهو مثل الماء العدّ ، فاستقال رسول الله -صلي الله عليه وسلم-أبيض بن حمال في قطيعتة في الملح فقال أبـيـــض: قد أقلـتـك منه على أن تجعله مني صدقة فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- هو منك صدقة، وهو مثل الماء العدّ من ورده أخذه«(2). وروي ابن ماجة بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: »المسلمون شركاء في ثلاث في الماء والكلاء والنار وثمنه حرام«(3) وفي رواية أخرى لابن ماجة بسنده عن أبي هريرة »ثلاث لا يمنعن الماء والـكــلاء والنار«(4) ، فمن جملة هذه الأحاديث يتضح مراعاة حاجة الناس الظاهرة البارزة للمورد الطبيعي، وأن الحاجة العامة للمورد الطبيعي تمنع ولي الأمر من منح امتيازه لأي فئة من الفئات حتى لا يؤدي ذلك إلى إحتكاره والإضرار بالناس والتأثير على عرض هذه المادة التي يستفاد من أخذها من المورد الطبيعي مباشرة، حيث إن منح حق امتياز استغلالها لفئة من الناس أو إقطاعها لفئة من الناس أو لشخص أو لأشخاص سيؤدى إلي قلة العرض، وارتفاع سعرها وعجز الناس عن تملكها مع حاجتهم الماسة إليها وشرائها من محتكرهــا الممنوح له حق امتيازها.

ثالثاً: تدخل الدولـــة المباشر باستغلال الموارد الطبيعية غير المستغلة وفق خطط إنتاجية استثمارية يضـعـهـا ولي الأمر وفق الظروف والمعطيات المتوفرة وبأسلوب يدفع أفراد الأمة لاستغلال هذه الموارد الطبيعية المعطلة ، أي أن من السياسات التي يحبذها الإسلام عدم الـعـمــــل المباشر في استغلال المورد الطبيعي وإنما العمل على تشجيع الأفراد باستغلال مدخراتهم، وبالتالي المساهمة في حل المشكلة الاقتصادية من خلال قيام الدولة في توفير رأس المال الخاص باستغلال الموارد الطبيعية وتوفير الظروف للقوى العاملة في المساهمة في استغلال هذه الموارد، فقد أخرج البخاري مرسلاً عن قيس بن مسلم عن أبي جعفر قال: »ما بالمدينة أهل بيت هجرة إلا

يزرعون على الثلث والربـــع وزارع علي وسعد بن مالك وعبد الله ابن مسعود وعمر بن عبد العزيز والقاسم وعروة وآل أبي بـكـر وآل عمر وآل علي وابن سيرين ، وقال عـبـــد الرحمن بن الأسود كنت أشارك عبد الرحـمـــن بن يزيد في الزرع ، وعامل عمر الناس على إن جاء عمر بالبذر من عنده فله الشطر وإن جـــــاؤوا بالبذر فلهم كذا«(5)،ومن هذا الحديث ندرك السياسة التوزيعية لعناصر الانتاج، التي تقوم علي العمل على دفع عوامل الإنتاج الأخرى لتحقيق التوازن بين مختلف عناصر الإنتاج، وتـوزيـــــع الدخل القومي بين هذه العناصر لمعالجة جانب الإنتاج في المشكلة الاقتصادية.
رابعاً: اســتـغـلال الموارد الطبيعية من خلال تدخل ولي الأمر في إعادة توزيع الفائض من الاستغلال عن طريق وضع التنظيمات الخاصة والقواعد المنظمة التي تساعد على الاستفادة من مكونات الناتــج الـقـــــومي مع مراعاة حقوق التملك الخاصة وذلك بالتدخل لتحقيق المصلحة العامة لزيادة الناتج القومي والإقلال من تأثير العناصر المرتبطة بالموارد الطبيعية من التأثير في إيجـــاد المشكلة الاقتصادية واستفحالها ، ولقد أوضح الرسول عليه الصلاة والسلام الجوانب في كيفية تحقيق ذلك من خلال التوجيه النبوي للأمة فمن ذلك ما رواه البخاري وابن ماجة عــن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- »لا تمنعوا فضل المــــاء لتمنعوا به الكلأ« وفي لفظ ابن ماجه« لا يمنع أحدكم فضل ماء ليمنع به الكلأ«(6). كما أوضح الحديث الأخر الذي رواه ابن ماجة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال نهى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن بيع فضل الماء وفي رواية له« لا يمنع فضل الماء ولا يمـنــع نقع البئر«(7) ونقع البئر هو الزائد من مائها أو المجتمع، فـمـــن هذه الأحاديث يمكن فهم التوجيه النبوي في معالجة الاستفادة منها عند عدم توفر المـيـــاه ، وبالتالي فإنه في حالة وجود بئر مملوكة لفرد فإن عليه أن يمنح الرعاة ما زاد عن حاجته حتى يمكن الاستفادة من الكلأ في المناطق المتاخمة للبئر ، كما قد يفهم أنه في حالة توفر مياه زائدة عن حاجة مالك لبئر، فإن عليه أن يمنح ما زاد عن حاجته في زراعته إلى الآخرين ممن لا يوجد لديـهـــم الـمـــاء، وهذا يؤدي إلى قيام الأفراد باستغلال الأراضي المجاورة لمن يتوفر لديه الماء مع مراعاة عدم الإضرار بمالك البئر، وهذا ينطبق في حالة تعطل وسائل رفع الماء لدى أحد المزارعين مما قد يحتاج إلى ما زاد عن ماء جاره حتى لا يخسر إنتاجه ويمكن القياس على ذلك فـيـمـــا يتعلق ، في حالة تعطل مورد من الموارد الطبيعية عن الاستغلال وإمكانية استغلال هذه الـمــوارد ولو بالتدخل في تنظيم استغلال الزائد من الموارد الطبيعية.

الهوامش:

(1) سنن إبي داود كتاب البيوع ، صحيح سنن أبي داود ح/3009 ج2ص67.

(2) سنن ابن ماجه كتاب الرهون ، باب إقطاع الأرض والعيون ، ح/2475 ، صحيح سنن ابن ماجه ح/2006 ج2ص64 ، 65 ، وحسنه الألباني.
(3) سنن ابن ماجه كتاب الرهون ، باب (المسلمون شركاء في ثلاثة) ، ح/ 2472 ، صحيح ابن ماجه ج2/64 ح/2004 ، قال الألباني صحيح دون "ثمنه حرام".
(4) ابن ماجه، كتاب الرهون، (باب المسلمون شركاء في ثلاثة »ح/2473 ، صحيح ابن ماجه ح/2005 ج 2/64.
(5) أخرجه البخاري ، كتاب الحرث والمزارعة - باب المزارعة بالشطر ونحوه وأشار ابن حجرإلى أنه موصول من طريق أخرى .
(6) البخاري كتاب الأشربةح/2353 ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج5ص 39.
(7) أخرجه ابن ماجه كتاب الرهون، باب النهي عن بيع فضل الماء، ح/2479، وصححه الألباني، صحيح ابن ماجه ح/2010، ج2 ص65.

خواطر في الدعوة

الـفـرج بـعـد الـشـدة

محمد العبده

هذا العنوان من الكلام المحبب عن الأقدمين، وقد ألفوا فيه الكتب وجمعوا حوله الفصول، تُرى لماذا هذا الاهتمام، وأي باعث للكتابة في هذا الشأن؟ لاشك أن الشدائد التي لاقاها المسلمون وخاصة ما بعد القرن الرابع هي السبب في هذا، سواءاً أكانت شدائد داخلية من الظلم وأكل أموال الناس بالباطل، أو كانت خارجية مما أصاب العالم الإسلامي من الغزو الخارجي المدمر، وهذا ما حدا بالقاضي التنوخي أن يكتب المجلدات حول (الفرج بعد الشدة).

إن ما ابتلي به المسلمون في السنوات الأخيرة من الحيف الواقع بهم والحرب الإعلامية الحاقدة التي تشن عليهم صباح مساء، ما يجعل هذا العنوان محبباً إلى المسلم المعاصر أيضاً، ويجعله يردد مع الشاعر:

فاصطبر ، وانتظر بلوغ مداها فالرزايا إذا توالت تولت

إننا لا نستطيع الإغراق في التفاؤل، وربما لأن الأمور لم تبلغ مداها بعد وخاصة من جانب الصبر والإعداد المطلوب من المسلم ولكن مما يبشر بخير أن المسلمين رغم الواقع الأليم قد أصبحوا رقماً صعباً في المعادلة السياسية الداخلية والدولية، وعاد بعض أشد الأعداء ليقول: يجب أن نتعايش مع هؤلاء ، ونفكر بطريقة عقلانية للتفاهم معهم... وشيء آخر وهو هذه الحرب الإعلامية التي نرى فيها السُمّ الناقع ، لهي دليل على تعاظم قوة الإسلام وشعور الأعداء بالخطر من جهته.

عندما يستطيع المسلمون الوصول إلى نقطة (الحرج) مع أعدائهم، فمعنى هذا أن كفة الميزان بدأت تميل لصالحهم، فكفار مكة عندما شعروا بالخطر بدأوا بوضع العراقيل أمام هجرة المسلمين، فمرة يحجزون أموالهم، ومرة يحجزون زوجاتهم وأولادهم، ودبروا قتل الرسول -صلى الله عليه وسلم-أو إخراجه أو سجنه ، وعندما علموا بهجرته تشنجت أعصابهم ووضعـــوا الجوائز لمن يأتي به حياً أو ميتاً ولكن من رحمة الله بعباده أن لا يوصلهم إلى مرحلة اليأس والطريق المسدود ، فيذلوا وينكسروا ، وقد قال تعالى: ((إن مع العسر يسراً * إن مع الـعـســـر يسراً)) [الشرح: آية 6] ، وقد جاء في تفسيرها: لن يغلب عسر واحد يسرين، ومن ظن أن الله يـسـلـط أعداءه على رسله تسليطاً دائماً، فقد ظن ظن السوء، كما يقول العلامة ابن القيم رحمه الله، فهل يتقدم المسلمون خطوة أو خطوات حتى يستحقوا (الفرج بعد الشدة) وينطبق عليـهـم قوله تعالى: ((وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا ، فأوحــى إلـيـهم ربهم لنهلكن الظالمين * ولنسكنكم الأرض من بعدهم ، ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد))[ابراهيم:13-14].

دراسات تاريخية

عبد الله بن سبأ
في ميزان البحث العلمي
-1-

د. محمـد أمحـزون

تـمـهـيـد:

موضوع »عبد الله بن سبأ والسبئية« أحـــــد الأبحــاث التي تطرق إليها بالدراسة الكثير من الباحثين من المسلمين والمستشرقين ، ومن أهم الدراســـــــات في هذا الباب بحث الدكتور سليمان بن حمد العودة بعنوان »عبد الله بن سبأ وأثره في إحــــداث الفتنة في صدر الإسلام« وبحث »عبد الله بن سبأ بين الحقيقة والخيال« د. سعدي الهاشمي ، وبحث الأستاذ أحمد عرفات القاضي بعنوان »إنكار ابن سبأ نقش على الماء«(1).

وهذه الدراسة للدكتور (محمد أمحزون) مناقشة بحث جديد حول الموضوع نفسه لباحث لم يأت بجديد وإنما هو نقل عن الباحثين حول تلك الشخصية، والـنـاقــد (الـكـاتب) أحد الـمتخصصين في دراسة التاريخ ، وعضو هيئة التدريس في جامعة »مكناس« بالمغرب (قـســـم التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية.

-الـبـيـان-

هـــذه الدراسة نقد للبحث الذي نشره د. عبد العزيز الهلابي أستاذ التاريخ الإسلامي في جامـعـــة الملك سعود، في حوليات كلية الآداب الكويتية عن عبد الله بن سبأ، تدخـل في مجال اهتمامات التاريخ الإسـلامي، وقد قام فيه المؤلف بتحليل روايات الإخباري سيف بن عمر التميمي عن دور عبد الله بن سبأ في أحداث الفتنة الواقعة في خلافة عثمان وعلي رضي الله عـنـهـمـــا حيث انتهى بحثه إلى أن تلك الروايات مختلقـة ولا أسـاس لها من الصـحة!! ثم أورد النصوص عن »السبئية« في بعض المصادر المتقدمة فأوضح أنه من خلال استخدامها في تلك الـمصادر لا تعني جماعة لها عقيدة دينية أو مذهب سياسي محدد، وأنها أطلقت على أناس مختلفين، وكان يقصد بها في كل الأحوال الذم والتعيير ، وبعد أن ناقش أقوال الباحثين المعاصرين وآراءهم من عرب ومستشرقين خلص في بحثه إلى أن ابن سبأ شخصية وهمية، وأن الدور المنسوب إليه في إثارة الأحداث وتسييرها دور مزعوم.
إن هذا البحث الذي كتبه د. الهلابي يعتبر أحدث دراسة مستقلة أفردت عن عبد الله بن سبأ ولذلك أحببت إبـــداء بعض الملحوظات حول الآراء التي تبناها حيث نفى في بحثه وجود تلك الشخصية، وأن ابن سبأ في رأيه لا يعدو أن يكون مجرد خرافة سطرتها كتب التاريخ والفرق!!
ومن الملحوظات على هذه الدراسة ما يلي:

أولاً سيف بن عمر لم ينفرد بالرواية:

يقول د. الهلابي في ص(13) من بحثه: »ينفرد الإخباري سيف بن عمر التميمي من بين قدامى الإخباريين والمؤرخين بذكر تلك الشخصية في رواياته ، ويجعل له دوراً رئيساً في التحريض على الفـتنة، وقـتـل الخـلـيـفــة عثمان وإنشاب القـتال في معركة الجمل في البصرة«(2).
في الواقع أن سيف بن عمر لم يكن المصدر الوحيد الذي استأثر بأخبار عبد الله بن سبأ ، بل ورد ذكر أخبار ابن سبأ وطائفته منقولة عن علماء متقدمين ورواة غير سيف بن عمر مثل:
* سويد بن غفلة أبو أمينة الجعفي الكوفي المتوفى عام (80 هـ/ 699م) ، مخضرم ثقة، من أصحـــاب علي رضي الله عنه(3) جاء في »طوق الحمامة« لحيي بن حمزة الزيدي وفي »اللفظ« للبرقاني أنه دخل على علي في إمارته فقال: »إني مررت بنفر يذكرون أبا بكر وعمر، يرون أنك تضمر لهما مثل ذلك ، منهم عبد الله بـن سـبـــأ ، فـقـال علي: مالي ولهذا الخبيث الأسود، ثم قال: معاذ الله أن أضمر لهما إلا الحسن الجميل ، ثم أرسل إلى ابن سبأ فسيّره إلى المدائن ، ونهض إلى المنبر حتى إذا اجتمع الناس أثنى عليهما خيراً ، ثم قال: أو لا يبلغني عن أحد يفضلني عليهما إلا جلدته حد المفتري(4).
* زيد بن وهب الجهني أبو سليمان الكوفي المتوفى قبل عام (90هـ/709م) ، روى عن علي بن أبي طالب ، وهو من جلة التابعين ، متفق على الاحتجاج به ، أخرج ابن عساكر في »تاريخ دمشق« عنه قال: »قال علي بن أبي طالب:

مالي ولهذا الخبيث الأسود ، يعني عبد الله بن سبأ ، وكان يقع في أبي بكر وعمر«(5).
* إبراهيم بن يزيد النخعي أبو عمران الكوفي الفقيه الثقة الـمـتـوفـى عام (96 هـ / 714 م)(6). روى ابن سعد في »طبقاته« أن رجلاً كان يأتيه فيتعلم منه ، فيسمع قوماً يذكرون أمر علي وعثمان، فقال: أنا أتعلم من هذا الرجل وأرى الناس مختلفين في أمر علي وعثمان، فسأل إبراهيم النخعي عن ذلك فقال: »ما أنا بسبأي ولا مرجئ« (7).
* الشـعـبــي عـمــر بن شراحيل الحميري اليمني المتوفى عام (103هـ/ 721م) ، من رواة الأنساب والأخبار الثقات(8). أخرج عنه ابن عساكر في »تاريخ دمشق« قال: »أول من كذب عبد الله بن سبأ«(9).
*سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي المدني المتوفى عام(106هـ/721م)، كـان أحــد فقهاء التابعين ، ثبتاً فاضلاً (10) ، روى يعقوب بن سفيان الفسوي في كتابه »المعرفة والتاريخ« قال: »قال أبو الوليد: سألني سالم بن عبد الله بن عمر: ممن أنت؟ فقلت: من أهل الكوفة، فقال: بئس القوم بين سبأي وحروري« (11).
* أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي الصحابي المعمر المتوفى عام (110هـ/ 728م) ، روى عن علي بن أبي طالب ، قال فيه الحافظ الذهبي: وبه ختم الصحابة في الدنيا (12). أخرج ابن عساكر عنه قال: »رأيت المسيب بن نجبة أتى به ملببه ، يعني ابن السوداء ، وعلي على المنبر ، فقال علي: ما شأنه؟ فقال: يكذب على الله ورسوله (13).
* حُجيّـة بن عـــدي الكندي أبو الزعراء الكوفي ، روى عن علي وجابر وهو من الطبقة الثالثة(14). ذكر ابن عساكر عنه أنه رأى علياً على المنبر ، وهو يقول: من يعذرني من هذا الحميت الأسود الذي يكذب على الله ورسـوله يعني ابن السوداء (15).
* أبو الجلاس الكوفي ، روى عن علي بن أبي طالب ، من الطبقة الثالثة(16). نقل ابن عساكر عنه قال: »سـمـعــت علياً يقول لعبد الله بن سبأ: ويلك! والله ما أفضي إليّ بشيء كتمته أحداً من الناس ، ولـقـــد سمعته يقول: إن بين يدي الساعة ثلاثين كذاباً وإنك لأحدهم (17).
* قتادة بن دعامة السدوسي المتوفى عام (117هـ/735م) ، من ثقات التابعين وحفاظهم ، روى عن أبي الطفيل وأنس بن مالك ، كان آية في الحفظ والرواية(18). نقل الإمام الطبري في تفسير قوله: »وكان قتادة إذا قرأ هذه الآية ((فأما الذين في قلوبهم زيغ...)) قال: إن لم يكونوا الحرورية والسبئية فلا أدري« (19).
* أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي المتوفى عام (157هـ/773م)(20). نقل الإمام الطبري عنه في »تاريخه« رواية يصف فـيـهــا أشــراف أهل الكوفة لخصومهم من أصحاب المختار بالسبئية (21).

ثانياً الموهوم لا يدفع المعلوم:

يقول المؤلف: »لا أعلم فيما اطلعت عليه من المصادر المتقدمة أي ذكر لعبد الله بن سبأ عند غير سيف بن عمر سوى رواية عند البلاذري« (22).
إن المصادر المتقدمة التي اطلع عليها د. الهـــلابي إذا كـانــت أغفلت موضوع ابن سبأ والسبئية ، فلا يعني ذلك بالضرورة أنه شخصية خرافية، إذ إن عدم ذكرها له لا يقوم دليلاً على الإنكار أو التشكيك، فهل استوعَبَت تلك المصادر كل أحداث التاريخ الإسلامي حتى نقـف وقفة المنكر أو المتشكك إذا لم تذكر شيئاً عن ابن سبأ؟! وهل من شروط صحة الرواية التاريخية تضافر كل كتب التاريخ على ذكرها؟! ثم هـــــل نـسـي د.الهلابي أن المصادر القديمة ضاع كثير منها فأصبحت مفقودة أو في حكم المفقود ، حيث ضاع كثير من مؤلفات الزهري وابن إسحاق والواقدي والمدائني وابن شبّه والأصمعي والهيـثـم بن عدي وعروة بن الزبير وغيرهم، إلا ما استوعبته بعض المصنفات الموسوعية كتاريخ الطبري مثلاً؟
ومن هنا ينبغي الرجوع إلى الأمر المعلوم المحقـق للخروج من الشبهات والتوهمات ، إذ إن الموهوم لا يدفع المعلوم ، و المجهول لا يعارض المحقق فشخصية ابن سبأ وجماعته حقيقة تاريخية يتفق عليها كثير من المصادر المتقدمة غير البلاذري.
جاء ذكر السبئية على لسان أعشى همذان المتوفى عام (83هـ/702م) وقد هجى المختار وأنصاره من أهل الكوفة بقوله:
شهدت عليكم أنكم سبئية وأني بكم يا شرطة الكفر عارف (23)
وجـاء ذكــر السـبـئـيـة فـي كـتـاب »الإرجاء« للحسن بن محمد بن الحنفية المتوفى عام (95هـ/713م)، الذي أمر بقراءته على الناس وفيه: »... ومن خصومة هذه السبئية التي أدركنا، إذ يقولون هدينا لوحي ضل عنه الناس« (24).
وفي الطبقات لابن سعد المتوفى عــــام (230هـ/844م) ورد ذكر معتقدات السبئية وأفكار زعيمها، فعن عمرو بن الأصم قال: قيل للحسن بن علي: إن أناساً من شيعة أبي الحسن علي عليه السلام يزعمون أنه دابة الأرض،وأنه سيبعث قبل يوم القيامة،فقال كذبوا،ليس أولئك شيعته أولئك أعداؤه، لو علمنا ذلك ما قسمنا ميراثه ولا أنكحنا نساءه ...«(25). علماً بأن ما ذكر في هذا النص لا يخرج عما جاء به ابن سبأ من آراء، وأكده علماء الفرق والنحل والمؤرخون في كتبهم (26).
وتحدث ابن حبيب المتوفى عام (245هـ/860م) عــــن ابن سبأ حينما اعتبره أحد أبناء الحبشيات (27) ، كما روى أبو عاصم خُشيش بن أصرم المتوفى عام (253هـ/859م) خبر إحراق علي رضي الله عنه لجماعة من أصحاب ابن سبأ في كتابه »الاستقامة« (28).

وفي »البيان والتبيين« للجاحظ المتوفى عام (255هـ/868م) رواية تشير إلى عبد الله بن سبأ (29)، كما ذكر الجوزجاني المتوفى عام (259هـ/873م) وهو من علماء الجرح والتعديل، أن من مزاعم عبد الله ادعاءه أن القرآن جزء من تسعة أجزاء ، وعلمه عند علي ، وأن علياً نفاه بعد ما كان هم به« (30).
ويقول ابن قتيبة المتوفى عام (276هـ/889م) في »المعارف«: »السبئية من الرافضة ينسبون إلى عبد الله بن سبأ« (31).
ويذكر البلاذري المتوفى عام (279هـ/892م) ابن سبأ في جملة من أتوا إلى علي رضي الله عنه يسألونه عن رأيه في أبي بكر وعمر ، فقال لهم: أوتفرغتم لهذا؟ وحينما كتب علي الكتاب الذي أمر بقراءته على أنصاره كان منه عند عبد الله بن سبأ نسخة عنه فحّرفها« (32).
وأورد الناشيء الأكبر المتوفى عام (293هـ/905م) عن ابن سـبـــأ وطائفته ما يلي: »وفرقة زعموا أن علياً عليه السلام حي لم يمت، وأنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه، وهؤلاء هم السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ، وكان عبد الله بن سبأ رجـــــلاً من أهل صنعاء، يهودياً... وسكن المدائن« (33).

ثالثاً السبئية في المصادر وليست للذم والتعيير فقط:

بعد أن ذكر المؤلف نصوصاً نثرية وشعرية ورد فيها ذكر السبئية، قال: »وبناءً على هذا فلا يمكن الاستنتاج من النصوص السابقة أن السبئية تعني فئة لها هوية سياسية معينة، أو مذهب عقائدي محدد، ولكن المؤكد أنها عندما تطلق على قوم يقصد بها الذم والتعيير« (34).
إن هذا الاستنتاج للباحث لا يخلو من المغالطة والتمويه، فهو يحاول جاهداً التشكيك في السبئية إلى حد جعله يتأولها مجرد كلمة تستعمل للسب والذم!! إني لأكاد أدهش حين يقول ذلك، وهو نفسه يذكر نصاً شعرياً للفرزدق(35) فيه إشارة واضحة إلى ابن سبأ اليهودي الأصل، الهمداني اليمني المنشأة.

تـعـرف هـمدانيـة سـبئية وتكره عينيها عـلى ما تنكرا
ولو أنهم إذا نافقوا كان منهم يهوديهم كانوا بذلك أعـذرا

على أن وجود عبد الله بن سبأ وارتباط السبئية به مما أطبقت عليه المصادر، فذكرته كتب التاريخ والحديث والطبقات والرجال والأنساب والأدب واللغة ، وجزم بذلك علماء الفرق والمقالات.
فقد نقل القمي المتوفى عام (301هـ/913م) أن عبد الله بن سبأ أول من أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة، وتبرأ منهم وادعى أن علياً أمره بذلك(36).
وأما الإمام الطبري المتوفى عام (310هـ/922م) فقد أفاض في تاريخه في ذكر أخبار ابن سبأ ومكائده معتمداً على روايات الإخباري سيف بن عمر التميمي عن شيوخه(37).
ويتحدث النوبختي المتوفى عام (310هـ/922م) عن أخبار ابن سبأ فيذكر أنه لما بلغ نعي علي بالمدائن قال للذي فعله: كذبت لو جئتنا بدماغه في سبعين

صرة، وأقمت على قتله سبعين عدلاً لعلمنا أنه لم يمت ولم يقـتل، ولا يموت حتى يملك الأرض(38).

ويقول أبو حاتم الرازي المتوفى عام (322هـ/933م) أن عبد الله بن سبأ ومن قال بقوله من السبئية كانوا يزعمون أن علياً هو الإله، وأنه يحيى الموتى وادعوا غيبته بعد موته (39).

وأكد ابن عبد ربه المتوفى عام (328هـ/939م) أن ابن سبأ وطائفـته السـبـئـيـة قد سلكوا مسلك الـغـلو فـي علي حينما قالوا هو الله خالقـنا،كما غلت النصارى في المسيح بن مريم (40).

ويذكر أبو الحسن الأشعري المتوفى عام (330هـ/941م) عبد الله بن سبأ وطائفـته من ضمن أصناف الغلاة، إذ يزعمون أن علياً لم يمت، وأنه سيرجع إلى الدنيا فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً (41).

وروى الكشي المتوفى عام 340هـ/951م) بسنده إلى أبي جعفر محمد الباقر قوله: إن عبد الله بن سبأ كان يدعي النبوة، ويزعم أن أمير المؤمنين عليه السلام هو الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، كما روى بسنده إلى علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: »لعن الله من كذب علينا، إني ذكرت عبد الله بن سـبأ فقامت كل شـعرة في جسـدي، لقد ادعى أمراً عظيماً، ماله لعنه الله«(42).

ويقول ابن حبان المتوفى عام (354هـ/965م): »وكان الكلبي محمد ابن السائب الإخباري سبئياً من أصحـــاب عبد الله بن سبأ، من أولئك الذين يقولون: إن علياً لم يمت، وإنه راجع إلى الدنيا قبل قيام الساعة، وإن رأوا سحابة قالوا: أمير المؤمنين فيها« (43).

ويقول المقدسي المتوفى عام (355هـ/965م) في كتابه »البدء والتاريخ«: إن عبد الله بن سبأ قال عندما بلغه موت علي بن أبي طالب: لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه(44).

ويكشف الملطي المتوفى عام (377هـ/989م) عن عقيدة السبئية فيقول: »ففي عهد علي رضي الله عنه جاءت الـسـبـئـيـة إليه وقالوا: أنت أنت! قال: من أنا؟ قالوا: الخالق الباريء، فاستتابهم فلم يرجعوا فأوقد لهم ناراً عظيمة فأحرقهم(45).

ويذكر كبير محدثي الشيعة ابن بابويه القمي المتوفى عام (381هـ/991م) موقف ابن سبأ وهو يعترض على علي رضي الله عنه في رفع اليدين إلى السماء أثناء الدعاء(46).

وفي »مفتاح العلوم« للخوارزمي المتوفى عام (387هـ/997م): »السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ« (47).

وذكر البغدادي المتوفى عام (499هـ/1037م) أن فرقة السبئية أظهروا دعوتهم في زمان علي رضي الله عنه فأحرق قوماً منهم ، ونفى ابن سبأ إلى سباط المدائن ، إذ نهاه ابن عباس رضي الله عنهما عن قتله حينما بلغه غلوه

فيه ، وأشار عليه بنفيه إلى المدائن حتى لا يختلف عليه أصحابه ، لاسيما وهو عازم على العود إلى قتال أهل الشام (48).
وقال أبو جعفر الطوسي المتوفى عام (460هـ/1067م)إن ابن سبأ رجع إلى الكفر وأظهر الغلو(49).
ويقول الاسفراييني المتوفي عام (471هـ/1078م) إن ابن سبأ قال بنبوة علي في أول أمره، ثم دعا إلى ألوهيته، ودعا الخلق إلى ذلك، فأجابته جماعة إلى ذلك في وقت علي (50).
ويتحدث الشهرستاني المتوفى عـــام (548هـ/1153م) عن ابن سبأ فيقول »ومنه انشعبت أصناف الغلاة«(51). ويقول أيضاً: إن ابن سبأ أول من أظهر القول بالنص بإمامة علي«(52).
كما أن كتب الأنساب هي الأخرى تؤكد نسبة السبئية إلى عبد الله بن سبأ ، ومنها كتاب الأنساب للسمعاني المتوفى عام (562هـ/1167م) (53).
وعرّف ابن عساكر المتوفى عـــام (571هـ/1176م) ابن سبأ بقوله: »عبد الله بن سبأ الذي تنسب إليه السبئية ، وهم الـغـــــلاة من الرافضة ، أصله من اليمن ، كان يهودياً وأظهر الإسلام« (54).
وفي اللباب في تهذيب الأنساب »يذكر ابن الأثير المتوفى عام (630هـ/1232م) إرتباط السبئية من حيث النسبة بعبد الله بن سبأ« (55).
وذكر ابن أبي الحديد المتوفى عام (655هـ/1257م) في »شرح نهج البلاغة ما نصه: »فلما قتل أمير المؤمنين عليه الـســـلام أظهر ابن سبأ مقالته وصارت له طائفة وفرقة يصدقونه ويتبعونه« (56).
وذكر السكسكي المتوفى عام (683هـ/1284م) أن ابن سبأ وجماعته أول من قالوا بالرجعة إلى الدنيا بعد الموت(57).
ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى عام (728هـ/1327م) أن أصل الرفض من المنافقين الزنادقة ، فإنه ابتدعه ابن سبأ الزنديق ، وأظهر الغلو في علي بدعوى الإمامة والنص عليه ، وادعى العصمة له« (58).
وأشــــار الحـســـــن الحلبي المتوفى عام (740هـ/1339م) إلى أن ابن سبأ ضمن أصناف الضعفاء(59).
وعند الحافظ الذهبي المتوفى عام (748هـ/1347م): »عبد الله بن سبأ من غلاة الشيعة ، ضال مضل«(60).
أما الصفدي المتوفى عـــــام (764هـ/1363م) فقد قال في ترجمته: »عبد الله بن سبأ رأس الطائفة السبئية... فلما قـتـــل علي زعم ابن سبأ أنه لم يمت لأن فيه جزءاً إلهياً ، وابن ملجم إنما قتل شيطاناً تصور بصورة علي ، وأن علياً في السحاب ، والرعد صوته ، والبرق صوته ، وأنه سينزل إلى الأرض«(61).

ويشير الشاطبي المتوفى عام (790هـ/1388م) إلى أن بدعة السبئية من البدع الاعتقادية المتعلقة بوجود إله مع الله تعالى الله وهي بدعة تختلف عن غيرها من المقالات(62).
ويعرف الجرجاني المتوفى عام (816هـ/1413م) عبد الله بن سبأ بأنه رأس الطائـفـــة السبئية...وأن أصحابه عندما يستمعون الرعد يقولون: عليك السلام يا أمير المؤمنين«(63).
وفي خطط المقريزي المتوفى عام (845هـ/1441م) أن عبد الله بن سبأ قام في زمن علي رضي الله عنه مُحدثاً القول بالوصية والرجعة والتناسخ(64).
وسرد الحافظ ابن حجر المتوفى عام (852هـ/1448م) في كتابه: »لسان الميزان« عن ابن سبأ أخباراً غير روايات سيف بن عمر ، ثم قال في النهاية: »وأخبار عبد الله بن سبأ شهيرة في التواريخ ، وليس له رواية والحمد لله« (65).
وفي عقد الجمان للعيني المتوفى عام (855هـ/1451م) أن ابن سبأ دخــــل مصر وطاف في كورها ، وأظهر الأمر بالمعروف ، وتكلم في الرجعة ، وقررها في قلوب المصريين (66).
وأكد السيوطي المتوفى عام (911هـ/1505م) في كتاب »لب الألباب في تحرير الأنساب« نسبة السبئية إلى عبد الله بن سبأ (67).
وتحسن الإشارة إلى أنه لا ينبغي الغض من قيمة المصادر المتأخرة التي ذكـــرت الـسـبئية، ذلك أن أصحابها كابن كثير والذهبي وابن حجر والسيوطي وغيرهم من الأئمة الحـفـــاظ، كانوا يستقون معلوماتهم من مصادر قديمة وقيمة بعضها الآن في عـــداد المفقود ، كما عرفوا بسعة اطلاعهم، وغزارة معارفهم وتقصيهم الدقيق للأخبار، حتى إن الباحث يندهش مثلاً عندما يطلع على كثرة الطرق وتنوعها في رواية ابن حجر لأحــداث تاريخية، ومن مصادر متقدمة كأخبار البصرة لابن شبه، وكـتـاب صفـيـن لحـيــي بن سليمان الجعفي، والمعرفة والتاريخ للفسوي ، وتاريخ أبي زُرعة الدمشقي ، وغيرها من كتب التاريخ.
وللحوار بقية. في العدد القادم بإذن الله.

الهوامش:

* دورية علمية تصدر عن جامعة الكويت.

(1)المنشور في مجلة الأزهــــر بدءاً من العدد (5 السنة 63) الصادر في جمادى الأولى عام 1411 هـ.

(2)الهلابي: عبد الله بن سبأ: دراسة للروايات التاريخية عن دوره في الفـتنة، ص 13.

(3)انظر: العجلي: الثقات ، ص 212 ، وابن حجر: تقريب التهذيب ، ج1 ، ص 341.

(4)يحيى بن حمزة الزيدي: طوق الحمـامـة(نقلاً عن إحسان إلهي ظهير: السنة والشيعة، ص 8) ، وابن حجر: لسان الميزان ، ج3 ، ص 280 ، وتهذيب التهذيب ، ج2 ، ص 214 ، قال: (رواه البرقاني في اللفظ).
(5)ابن عسـاكر: تاريخ دمشـق (المخطـوط) ج9 ، ص 331.
(6)الذهبي: الكاشف ، ج1 ، ص51 ، وابن حجر: التهذيب ، ج1 ، ص 177.
(7)ابن سعد: الطبقات ، ج6 ، ص 192.
(8)انظر: الفسـوي: المعرفـة والتاريخ ، ج2 ص 592 ، والخطيب: تاريخ بـغـداد ج12 ، ص 227.
(9)ابن عساكر: المصدر السابق (المخطوط) ، ج9 ص 331.
(10)انظر: ابن سعد: المصدر السابق ، ج5 ص195 ، وخليفة: الطبقات ، ص 246.
(11)الفسوي: المصدر السابق ، ج2 ص7658.
(12)انظر: الذهبي: الكاشف ، ج2 ، ص52 وابن حجر: التقريب ، ج1 ، ص 389.
(13)ابن عساكر: المصدر السابق (المخطـوط) ج9 ، ص331.
(14)انظر: العجلي: المصـدر السـابق ص110 وابن حـبان: الثقات ، ج4 ص 92.
(15)ابن عساكر: المصدر السابق (المخطـوط) ج9 ، ص 331.
(16)انظر: ابن حجر: لسان الميزان ، ج3 ص289.
(17)ابن عساكر: المصدر السابق (المخطـوط) ج9 ، ص331.
(18)انظر: العجلي: المصـدر السـابق ص389 ، وابن معين: التاريخ ، ج2.
(19)الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن 3/3/119.
(20)انظر: ابن قيتبـة: المعـارف ، ص234 وابن النديم: الفهرست ، ص 105.
(21)الطبري: تاريخ الرسل ، ج6 ، ص 25.
(22)الهلابي: المرجع السابق ، ص16.
(23)أعشى همدان: ديوان ، ص148.
(24)أبو عمر العدني: كتاب الإيمان ، ص249.
(25)ابن سعد: المصدر السابق ، ج4 ، ص39.
(26)انظر: الأشعري: مقـالات الإسـلاميين ج1 ، ص86 ، والقمي: المقالات والفرق ص119، وابن حبان: المجروحين، ج4 ص253 ، والمقدسي: الـبـدء والتاريخ ج3 ، ص129.
(27)ابن حبيب: المحبر ، ص308.
(28)ابن تيمية: منهاج السنة ، ج1 ، ص7.
(29)الجاحظ: البيان والتبيين ، ج3 ، ص81.
(30)الجوزجاني: أحوال الرجال ، ص38.
(31)ابن قتيبة: المعارف ، ص267.

(32)البلاذري: أنساب الأشراف ، ج3 ص382.
(33)الناشيء الأكبر: مسائل الإمامة ، ص22.
(34)الهلابي: المرجع السابق ، ص48.
(35)المرجع نفسه ، ص 47.
(36)الفرزدق ، ديوان ، ص242.
(37)القمي: المصدر السابق ، ص20.
(38)الطبري: تاريخ الرسل ، ج4 ، ص283 ، 326 ، 331 ، 340..
(39)التوبختي: فرق الشيعة ، ص 23.
(40)أبو حاتم الرازي (أحمد بن حمدان): الزينة في الكلمات الإسلامية ، ص 305.
(41)ابن عبد ربـه: العقد الفريد ، ج2 ص405.
(42)أبو الحسن الأشـعري: المصـدر السابق ج1 ، ص85.
(43)أبو عمر الكشي: الرجال ، ص98.
(44)المصدر نفسه ، ص 100.
(45)ابن حبان: المجروحين ، ج2 ، ص253.
(46)المقعسي: المصدر السابق ، ج5 ، ص129.
(47)الملطي: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، ص18.
(48)ابن بابويه القمي: من لا يحضـره الفقـيه ج1 ، ص213.
(49)الخوارزمي: مفاتيح العلوم ، ص22.
(50)الـبـغـدادي: الفـرق بـين الـفـرق ص15 ، 225.
(51)أبو جعفر الطوسي: تهذيب الأحـكام ج2 ، ص322.
(52)الاسفراييني: التبصير في الدين ، ص108.
(53)الشهرستاني: الملل والنحل ، ج2 ص116.
(54)المصدر نفسه ، ج1 ، ص 155.
(55)السمعاني: الأنساب ، ج7 ، ص24.
(56)ابن عساكر: المصدر السابق ، ج9 ص328.
(57)ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنـساب ج2 ، ص98.
(58)ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ، ج2 ص99.
(59)السكسكي: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ، ص50.
(60)ابن تيمية: مجموع الفتـاوى ، ج4 ص435.
(61)المجلسي: الرجال ، ج2 ، ص71.
(62)الذهبي: المغني في الضعفاء ، ج1 ص339.
(63)الصفدي: الوافي بالوفيات ، ج17 ص20.
(64)الشاطبي: الاعتصام ، ج2 ، ص197.
(65)الجرجاني: التعريفات ، ص79.
(66)المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج 2ص356.

(67)ابن حجر: لسان الميزان، ج3، ص290.
(68)العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان،9/1/168.
(69)السيوطي: لب الألباب في تحرير الأنساب ج1،ص132.

خاطرة أدبية

أدباء.. بلا أدب

د. محمد بن ظافر الشهري

قالوا عن الرجز أنه حمار الشعراء ، قـلـت: ليس الأمر كذلك إذا عد الحداثيون شعراء ، ذلك أن الصحف باتت أطوع الحمر للحداثيين ، فهي لا تبالي من الذي يمتطيها ولا ماذا يحمل ، مادام لا يحمل كلمةً ثابتة الأصل شامخة الفرع ، وعلى كل حال فلم تعد الحمر بنوعيها وسائط نقل مقنعة في هذا الزمان، ولـهـذا عمد أهـل الارتزاق بالكلمة إلى »سيارات الكذب« فركبوا أسرعها لأن الثمن يتناسب باطـــراد مـــع السـرعة ، وامتطى قليلو الأدب »طائرات الاغراء« فحلقوا بها في سماء المجاهرين،أما عديمو الأدب فقد استقلوا »مكوك سب الإسلام« الذي أ ثبتت معامل النظام العالمي الجديد/القـديــم أنـه أسرع وسيلة للوصول إلى النجومية العالمية ، وهو مجهز بأحدث وسائل السلامة!!.

لقد نال سلمان رشدي جائزة الدولة النمساوية إيماناً بـ »آياته الشيطانية« ، واستحق »الطاهر« بن جلون جائزة جونكورد الفرنسية في »ليلة قَذَرِهِ« ، وتسبب »أولاد حارة« نجيب محفوظ في منحه جائزة نوبل.

إن المتابع للحركة الأدبية يلاحظ انتشار »الشذوذ الفكري« الذي أدرك عبيد الدرهم والشهرة أنه أيسر السبل لتسنم الهرم الأدبي المعاصر.

لـيـس شيئاً مما ذكرت يدعوا إلى العجب ، فإن الحرب بين الحق والباطل سنة ماضية ، ولـكـــن إذا كان هؤلاء »الشذاذ« قد آثروا الحياة الدنيا ، فأين الذين آمنوا بأن الآخرة خير وأبـقـى؟! ، إن هذا ينبغي أن يكون حافزاً لكل من وجد في نفسه القدرة على التعامل مع الكلمـــة وتطويعها أن يتقدم في ثقة وثبات متوكلاً على الله ، راجياً وجهه ، منافحاً عن العقيدة الناصعة والفكر الأصيل.

على الشـاعـــر والناثر والناقد أن يشعروا بالمسؤولية الملقاة على كواهلهم وليحذروا من أن يرمي بهم التقـلـيـد الأعمى في غياهب الغموض ، أو يحصرهم في خطاب أساتذة الأدب الانجليزي في كليـات الآداب ، إنهم مطالبون بإيصال الفكرة عبر الكلمة إلى الناس.. كل الناس.

وتبقى الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها، ويبقى الأديب المؤمن صّداعاً بالحق مهما كثر الناعقون بالباطل ، ((.. فأما الزبد فيذهب جـفـاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال))[الرعد: 17]

نص شعري

شـجـاعـة

عبد الله بن محمد العسيري

أخيراً تعلمت أن جهاد اليهود ضلالٌ..!
وبوابةٌ.. للمجاعه!
وأن عناق اليهود شجاعه!
وأن نضالي الحقيقيّ تفريغُ ذاكرتي..
من حكايا دمائي المضاعه!
ووهم القـتال..
وحسبُكَ من شَر لفظٍ سماعه.

* * *

غسلتُ فمي وفؤادي!
فرشتُ لرابين بسطَ ودادي!!
وعدتُ إليكم (بفتح) مريح
غنائمُه رائحاتٌ غوادي!!
شجاعٌ أنا فاحملوني وغنوا..
وزكوا نفوسكم من كرامتها!.. وتمنوا
فأحلامكم فوق ريح السلامْ..
ستصبح سُحْباً..
تصب الغنى فوقكم والوئامْ!!

* * *

فقطْ.. طلقوا وهمكم واتبعوني
فإني كرهتُ سجون الكرامه!!
أنا خلف (وجه الصقور) اختنقتُ عقوداً..
فما أجمل الآن وجه النعامه!
شجاع أنا لست أخشى..
وها أنا أعلن أني تخطيت خوفي..
وصرت لدى ابن (حيي) غلامَهْ!!

قصـة قصـيرة

عـواصـف الـعـتـمـة

عواض بن شـاهر العصـيمي

في تلك الساحة..

والليل شبه وحيد في الطرقات..
ثمة قطيع من الكلاب يدور عاصفته على هواه..
تكبر حيناً وتدنو حتى أقول لن تصمد لها نافذتي المسيجة بالحديد متقارب القضبان.. وحيناً.. تخر إلى الأرض ، فأحس بالأمن وتبدأ غيمة النعاس تلامس العينين.
بيد أنها ، كما لو أن أحداً قذف حجراً هناك: ما تلبث أن تملأ من جديد فضاء الليل ، فأبقى مكرهاً مفتوح العينين ، أكابد العاصفة..
الـوقـــت كماء ينبجس من صخرة ، يقطر كعادته متجافياً عني.. يتحاشاني أراه كلما تضرست في مزولته ، والصباح لا عصافير له تحت العقارب..
أنهض.. أتأمل الساحة بغضب.. متوارية كالخديعة ، وفيها الكلاب لا تكاد ترى.. عمود المصباح الذي يطل عليها من بعيد معطل ، ويقف مثل رجل منحن..
والطريق سقيم..ولو غامرت ونزلت إلى الشوارع ، وحاربت هذه المخلوقات بالحجارة ، لربما اعترضتني في تلك الساحة دورية الليل.. وعندما يسألوني سوف أرتبك.. وحينئذ قد ينزل من »الجيب« أحدهم ويدنو مني.. يتفحصني.. »البيجامة« واسعة كالثوب.. وسابغة حد الكعب.. والحلق بالإمكان حصر أزاريره خارج الفتحات.. والوجه على سجيته..
سألقي عليه تحية آدم لملائكة الله أولاً، ثم أصـافـحـــه.. هـــو حُرٌ.. إن شاء صافحني وإن بادرني بالأسئلة فكما يريد.. الحق معه.. ماذا يفعل رجل هنا مع هذه الكلاب؟!.. وفي هذه الساعة من الليل الغابر؟!..
ـ لقد أزعجتني.. حاولت النوم فلم أستطع والله!..
ـ وتخرج هكذا.. أين تسكن؟!..
ـ هناك.. في تلك »الحارة«..
ـ هويتك!..
صحيح.. وهنا قد يأخذني إلى التوقيف.. سيكون صعباً بكل تأكيد قضاء بقية الليل على بلاط الريبة حتى الصباح..
ألمح وأنا مستند إلى قضبان النافذة المعتمة أكثر من كلب يقترب من العمود المعطل.. يتمحك به أحدها.. يرفع رجله.. هذه وضعية ممتازة للقتل.. رصاصة واحدة ، وفي مكان لا تزيغ فيه الشعرة ، كافية لمسح أثره..
هـكـــذا كـنـــا نقتل الكلاب.. إذ ما أن تهبط على قطعان الماعز في السفوح حتى نتلقاها في عتمات الكمائن.. وفوق الصخور، أو تحت الشجيرات المنقضة على منازلنا في السهل ، لا تطيش الطلقة عن لمعة المقتل..
أشد قبضتي على الحديد الخشن.. أشعر بالصدأ يتوحش في معترك الخطوط ، ويهيج في الأصابع.. يخترق راحة اليد باتجاه عزيمة اللحم والدم والعصب.. وما الذي يضر؟!..
عما قليل سيشتعل نداء الفجر.. وحالما تسيل على الحيطان الشمسُ تنطفئ الكلاب..

أنزع يدي خاليتين من الصراخ ولغط القضبان ، وأعود متمهلاً إلى فراشي.. الغرفة مذبوحة من الجدار إلى الجدار في الظلـمـة.. والباب موارى.. وفي نهاية المدخل على بعد أمتار ثمة زاوية تمسك بمصباح ينسكب مباشرة باتجاه الباب الذي يسلمني على الدوام إلى الشارع.. غير أن سعفة من الضوء رغم ذلـك جـاهــدت في السقوط عبر الباب داخل الغرفة ، وعلى الجدار انكسرت فبقي منها مثل طولي قائماً يتشبث بتراب الطوبات القريبات من السقـف..

كانت العاصفة قد سكـتت..

ها هي من منازل الجيران تأتي الديكة منتشية بماء الفجر ، وأنا أذكر الله وأحشو الغرفة بالخطوات..

أقـف مباشرة تحت المروحة المضبوطة على رقم(5).. ورغم أن الهواء ينزل على فروة رأسي كالسوط، وصرير المروحة منخرط فيما يشبه انهيار السلاسل، إلا أنني أوقفت عيني على شيء يتحرك عند قدمي..

لقد أثار انتباهي أنني أطفأت الأنوار على فراش منفرد ، وثياب معلقة على الحائط ، ولم أفطن إلى أن الجريدة بقيت تروح بعدي وتجــيء تحت هواء المروحة المستديم.. الآن فقط تبين لي أن الصفحات كانت طوال الليل تروح وتـجــيء تحت الهواء.. تتقصف.. يصطفق بعضها ببعض.. في الظلمة.. تحت الصرير..

أتذكر كيف أن الدم كان يفور بين يدي ، والخراب يندلع في الصفحة سطراً بسطر.. وأن دمي موزعاً بين وكالات أنباء العالم ليس غير هــــذا الــذي يسـيــل هنا تطارده الحرائق وحدقات الجنود..

أتذكر كيف أن »علي عزت بيغوفيتش« كان يقف وحيداً في ركن الصفـحـــة مسبل اليدين ، حاسر الرأس ، قد بذل وجهه إلى شيء ما عن يساره ، وعينه اليمني كـانـت ضيقة مثل الطرقات إلى »سراييفو »..

وكيف أن الرجال ذوي العيون الزرق ملؤا ذات صباح شوارع »مقديشو بحثاً عن سلام فاقع كـجـبـاههم وقت الظهيرة.. كانت (Returning Hope)* ترقص ثملة على شفاه رجال الـبـحـريــة وهم يحرسون الأقداح الفارغة في المخيمات ، بينما أحدق أنا في وجوه بضعة أطفال تجاوروا حول رجل لا يبدو منه سوى دمه على الأرض..

العالم يطبق على رأسي مثل قبعة..

أحسست بجفاف حاد، واشتهيت الماء، غير أني تمهلت في النهوض حتى اطمأن ، عرقٌ في رأسي أخذني فجأة..

وبقيت الجريدة بعدي..

والكلاب..

والعتمـة..**

الهوامش:

* معناها: »إعادة الأمل«، وهو اسم العملية العسكرية التي أقرها على أرض الصومال مجلس الأمن الدولي.
** نـشـرنــا قصتك بالرغم من سيطرة العتمة عليها، ونرجو أن تحمل مشاركاتك القادمة بروقاً من الأمل والعمل بين العواصف.
-البيان«-

نص شعري

.. حـوار ..

علي الحـاجـي

جميل:

أنا يا بثيـنـةُ راحـلٌ صَوْبَ الجـبــلْ فالشـيـبُ أنـذرني وقلبي في وَجـَلْ
قال اسـتـَمِعْ نُصحي فوجهك شاحبٌ رَتبْ حقائـبـــكَ الثمينة في عَجـَلْ
والوقتْ أدركـنـــا وهـذي شَـمـســُهُ غابتْ وراء الأفــق والـلـيـلُ وَصـَلْ
إني بـيـاضٌ غـيـرَ أنّ مـُصـيـبـتــــيْ سوداءُ تَحملُ في ثنايـاهـــا الأجـَلْ
عهدُ الشباب مضى فـمـاذا يـُرتَـجَـى من هذه الدنيا الفَجُورة بـالـدَجَـلْ
إمـض لعـزكَ فـالجـنـــانْ قـريـبـــةٌ قُربَ الطغاة إلى جَهنّمَ يا بَـطَـــــلْ

بثينة:

قالـتْ بـثـيـنةُ يا جميلُ أما تَـرى أن المعاركَ والـحـــُروب بــلا أمـــَلْ
بَذل الأبـاةُ دمـاءهُـمْ ونـُفـوسَـهـم وتيتـمـتْ أبناؤُهــــم في الـمُـعـتـقـَلْ
بَلْ كلّ معركة تَـخـوضُ غـمارَهـا نُسجتْ وقـائـعُها على قد الـفـشــَـــلْ
إهدأ قليلاً كي نُقَوّمَ مـا مـَضـــى ونَرى علاقةَ مـا طـبخْتَ بما حَـصـَلْ
هلْ ما تَقوم بـه جـهـادٌ فـاضـلٌ أم أنـهُ نَـزَقٌ وطـيـــشٌ مـُرتَـجـَــلْ؟
وَهَنَتْ قوَى الصَبْرِ الجَميل لديكُمُ فَخرجّتَ تستُر ضـعـفَ صبر قد رحَلْ
ووصفت مَنْ جَعلَ الأنـاةَ طـريـقةُ يبني بناءَ الصالحــيــن مــــنَ الأَوَلْ
بالجُبن والخَور الـشـديـد وأنــه حَمَلٌ يُعَدُ على الـمـديــح مــن الهـمَـلْ

جميل

أو هَنّتِ يا بنّتَ الأكَارم والتُقــــَـى وشرعت في نحت الأرُومة والأثلْ(1)
وَجَعلت أسبابَ الخُنوع جميلـــــةً وصـقــلـت سيفاً لـلـدعاية والجَدَلْ
خَوفاً على مال يـلــذُ رنـيـنــُـــــهُ وخَـدُود أصــغـرنا الذي مَلّ القُبَلْ
هُمْ جَنّدوا للحرب كلّ رِمَاحهــــمْ وبقيتُ وحــديَ بالـتـعـقّــل مُعتقَلْ
أدعو إلى السلم الذليل وأبتغـــــــي عنـدَ الـعــدو سَرابَ عيش مُبتَذَلْ
أنا إن أمُتْ فإلى الجنان تَزُفنـــــي حـُـورٌ تــلألأ مـثـلَ أحــدَاق المُقَلْ
أو أنتصر أقضي على جُبن غـــــدا نهجاً وفـكـراً يُستطابُ ويـُـنـتـحلْ

بثينة :

أنـا مـا عشقتك يا جمــيـــل صبابة أو هـزّنـي شـعـرٌ تـضَـمـخَ بالغزَلْ

أنا قد عشقتُكَ يـــا جَميلْ مُجاهداً ومُثقفاً ومُـفـكراً يُحـي الأمَـــلْ
أنا ما حَرصــتُ على الحياة دقيقةً إلا لأضـغـطَ فَـــوقَ زَندك يا بطَلْ
إنْ كُنْتَ تَحسبُ أن قلبي خائـــرٌ أخطأتَ يا زينَ الـشباب ولا خجَلْ
أو كـانَ حقدُكَ يـا جميلُ أصابـني فاعلــمْ بـــأن الحـقـدَ أكثرَ ما قتَلّ
كـلّ الـذي أبـغـيــه أنْ تلقّ العدا في سـاعـــة لا حــظّ فـيـها للفشَلْ
وانــظـُـرْ لـصَـقّـكَ بالأناة وبالتُقَى وابحثْ عن السر الذي خَلفَ الشللْ

بثينة:

أنا لستُ أحـقـدُ يـا بـثـيـنـةَ مُـطـلقـاً لكنني أخشى عليكَ منَ الحوَلْ
أخـشى مـن الضعف الذي هزّ الحجـَا وغدا سلاحاً يستظلّ بما حصَلْ
لكن نُـصحَـك يـــا بـثـيـنـةُ رائـــعٌ عَسلٌ يُخالطُهُ رحيقٌ من جَدلْ
قلبي بحـبُك يا بـثـيـنـــةُ نـابـــضٌ لمّا رأيتُ الصدقَ ينبُضُ في المُقَلْ
هيا نُـحــــاولَ أنْ نـقـوّمَ نَـهـجَـنـــا بشجاعة الأبطال والسلف الأُوَلْ
رفعوا لـواءَ الـحـــق فـــي أركـانـهـــا وفقَ الكتاب ووفقَ منهاج عدَلْ
فقهوا كتابَهُمُ وعاشـوا عـصــرَهــــُمْ فاستنبطوا حكماً وصاغُوها دوَلْ

بثينة:

أبشر جميلُ فلستُ أوْجَلُ منهمـــو حـُسنُ التـدبُـر من مزيَات البطَلْ
فانظر لمُشكلة الجزائر كي تـــرى أينَ الصوابُ وأيـــنَ أسبابُ الزلَلْ
وانظرْ إلى مصرَ الجهاد هُنيهـــةً علّ التبصُرَ يُطفئ الخَطبَ الجَلَـلْ
أو خُذْ بلادَ الشام كيفَ تصرّفُـــوا فتفرقـُـوا فـي كـلّ بـيـداء طَلَـلْ
فإذا استفدتَ منَ الدروس جَميعها ووعيـتَ أسـبـابَ التخلف والعللْ
هيـــا إلـى ســاح الـجـهـاد فكُلُنـا شـوقٌ لـنـثـأرَ لـــلمذابح في عَجَلْ
فــإذا رجـعـــتَ من الجهاد مُظفراً ألقـاكَ بالوجــــه المُضيء وبالقُبَلْ
وإذا قـضـيــتَ فـإنـنـي مُـشـتـاقةٌ ولجـنـــة الفردوس يحدُونَا الأمَلْ

الهوامش:

الأثل: أثلة كل شيء: أصله

نقد على نقد

تقويم الحداثة = تقويض أم ترويض؟

إبراهيم بن منصور التركي

أجـــدب الـنـمـط الشعري في عصر الانحطاط ، وبلغ من التصحر درجة الترمّد والتجلمد، فهبت أيدي النهضويين تستدعي النص التراثي الغائب تعيد إنطاقه واستنطاقه ، وتحاول امـتـداداً عـمـوديـــاً يـتـصل بالسلف الشعري، ويمتد في الوقت نفسه أفقياً ليعبر عن واقعه المعاش.

ولم يكن هذا الوضع ليرضي ثـلة معاصرة رأت فيه ارتكاسا فجاً ، يتبتل في محراب القديم »المتكـلـس« ، فمضت فيما تحسبه حداثة أو تحديثاً تزعم

اقتراض النافع من يمين أو يسـار، فاتحة بذلك باب الانبهار بالآخر الغربي على مصاريـعـه، كل ذلك مع محاولة استنكاف يـتـأبـى خـضـوعــاً للسابق العربي ، فكان أن جاءت تلك المحاولات مسخاً للشرق ونسخاً للغرب.
وحاول بعض المهتمين تلمس أسباب تلك الميول المتفرنجة، واكتناه ما وراء الأكمة، فجاءت طـروح كـثـيـرة يـأخـذ بـعـضـهـا بـرقـاب بعض، تعرض لهذه الظاهرة التحديثية وتتناولها بالدراسة والتقويم ، وأبحرت مقاربات رديفة لتنتشل الأدب من التشظي المرتقب ، وتحثو في وجوه الناكصين بعض الحقيقة، وانبرت الثلة الغيورة لتتمترس صوت الحوار والنقاش، مـطـلـقـة أعيرتها الحوارية عبر توجهين متباينين انشعبت إليهما الرؤى ، تعلن في أولهما الـفـئـة الأولـى عـن رفـضـهـا القاطع لكل إفرازات تلك الظاهرة التحديثية ، وترى حتمية القطيعة المعرفية مع كامل نتاجاتها ، في حين رأت الفئة الأخرى إمكانية الانتفاع بالمعطى الـجـديـد ما لم يصادم الثوابت أو يزعزعها ، هذه الفئة الأخيرة تتكئ على تأسيس معرفي بالرأي والرأي المضاد ، فتتناور بعد استكمالها شرائط الحوار وطرائقة ، من غير ان تتخذ من دون الحق وليجة ، وسنقارن فيما يأتي بين النهجين في حوارهما الحداثة حواراً أدبياً فكرياً .

أولاً: جوانب التجديد الشكلي:

لـقـد تـخـلـقت الحداثة من رحم التجديدات وارتياد ذرى التحديث ، فما لبثت الأكلة أن تـداعـت إلـى قـصـعتها مبهورة بجديد الموائد ، إلا أنها أعني الحداثة أصطدمت بالابتناء المحصن عن بعض ضد اجتياحاتها الجسورة ، فهي لم تكتف بالاندساس الدلالي في صميم الـمـتـن الـشـعـري، وإنما مارست انزياحاً متمرداً انتهك الأنساق الشكلية السائدة، وحاول بـعـض الغـيـورين ربط هذا الانتهاك الشكلي بجوانب التمرد الدلالي ، فالشعر الحر أو شعر التفعيلة وفق هذه النظرة مرفوض بجميع أشكاله وألوانه ، لأنه يشارك في الجريمة الواسعة ويـمـهـد لـهـا ، والشعر الحديث جريمة يمتد في أسلوب متدرج حتى يقتل الكلمة العربية ويلغي تاريخها، وحتى يحاول قتل اللغة كلها، ثم يمتد المكر إلى التاريخ والعقيدة والدين، ومن ثم لا يرضى أصحاب هذا التوجه عن عدد من الشعراء المسلمين شرعوا يكتبون الشـعـر الحديث ، وهم يدرون أو لا يدرون أن جميع أشكاله بضاعة واحدة خطط لها نهج واحــد لتحقيق أهداف واحدة.
ولـم يـرتـض الـمـنـصـفون فتح أبواب المصادرة والإلغاء وإساءة النية، أو جعل التماهي بين الكيانين الشكلي والدلالي أمراً حتمياً ، فجاء نهجهم ليقرر بأن لنا »أن نعاف الطارئ وليس لنا رفض وجوده وإن اختلف مع الموروث.. فشاعر النثرية والغموض نرفضه فنياً ولا ننظمه في عقد المشبوهين إلا أن يتعمد بنزوعه تقويض الكلمة الطيبة ، والمتأثر فنياً بشاعر حداثي لا نسلكه في مساره الفكري«(1)
وحسبما يعلم فإن التجديد العروضي ضارب بجذوره في تراثنا الأدبي كما أن الغموض ليس قـضـيـة آنـية راهنة ، وإنما هو إشكالية تتجذر في تراثنا النقدي

عبر مقولة (المعنى في بطن الشاعر) أو مكاشفة (لم تقول ما لا يفهم؟) إنهما تخليص للفن من تلك العبارات التي فقدت وهجها المثير ، وأصبحت مضغة في شدق السائد والمـتـبـع.
إن الرغـبـة السلطـوية في التأطير وقولبة الإبداع ستقف حجر عثرة إن اتسعت أمداؤها أمام محاولات التجريب والشكف عن اللامع المستكن.
ولـهـذا جـاء الـنـهـج المـتـعـقـل يتداح في فضاءات التمايز بين الكيانين أعني محايثة الفن للموضوع ويؤكد أن »الغموض الفني لا يعني إلغاء الدلالة.. إنه تخليص للنص الإبداعي من الدلالة الواحدة المنتهية والـتـسامـي إلى احتمال دلالات كثيرة يتلبس بها النص ، وتكون قادرة على الاستجابة لتطلعات المتلقي«(2)
إن النهج المنكفئ على مألوف الذات لا يشكل معضلة حينما يـغـدو الانـكفاء ممارسة فردية محصورة ، ذلك أن الطرح الشعري الجديد يظل توجهاً ذوقياً يحق للآخر استدباره مادام يرى القبلة في الجهة المخالفة ، إنما الإشكال ينزرع عندما يكون الاستنكاف الفردي فرضاً قسريا لرأي الأنا في وجه الرؤية الجماعية ، أو عندما يصبح تجبر اً عدائـيـاً ضــد مألوف الــذات. إن رفـض الـتـجـديـد وإقـفال الباب دونه سيؤدي بالضرورة إلى تسطح الإبداعات الأدبية ، وتحويل أشكالها إلـي أختام محفوظة يصم بها الأدعياء الدخلاء. فيختبئ من ثم الـوسـم الـبـائـن بـيـن المـبـدع الأصيل ، والمدعي الدخيل. كما قد تتسلطن الرؤية الأحادية لتكبسل الرؤى الجمعية وتختزلها في مرتأى فردي وحيد.

ثانياً: إلغاء الحداثة وتصفيتها أم تنقيتها؟:

إن التوجه الترويضي يميل إلى إمكان التعويض بديلاً عن إعلان التقويض ، ويطـرح الرغبة في التنقية عـوضــاً عن الإلغاء والتصفية. فهو يتساءل عن جدوى«التفكير في أسلمـة الحداثة وجـعـلـهـا إشـكـالـية عربية متحاشية التورط في الإلحاد والرفض والتصدي للإســلام« (3)، «فالثابت أنها أي الحداثة تستمد لحمتها وسداها من واقعها المعاش ، ومن ثم فإن لكل زمان ولكل أمة ولكل ثقافة حداثة متميزة ، فهل نملك القدرة على بلورة حداثة عربية تصد وباء الـطـارئ .. لـو اسـتـطـعـنا ذلك لقـبـلنا بوصف الجديد بالحداثة، ومنحناها ملامح عربية وإسلامية ولنا أن نسميها ما شئنا: حداثة أو معاصرة أو تجديدا«(4) .
وبـرغـم الـروح المـتفائلة التي ينطوي عليها هذا الرأي إلا أنه يعكس إشعاع الترويض الذي يماهنه أنصار الـتـقـويـض لطرح البديل الجائز ، وهنا تصبح محاولات التقويم فعل احتواء للشكل الحداثي دون النفاذ إلى دواخل المعنى الشعري ، أي أنه يحرر الكلمة مما علق بها من غبار السنين فـيـطـهـرهـا ويـغـسـلـها. وهذا النهج المتعقل يعيد في حواره إيجاد خطابه الـنـقـدي حـول الخـطـاب الحداثي المتأسس فيندس في أديمه المغضن ، ويعيد تشكيله عبر

رؤيــة مـقـبـلـنة تمارس الفرز والانتقاء. إنه يذيب ولا يذوب، يجادل ولا يجامل ، يختار الباقيات الصالحات ولا يرضى غيرها.
ولا يـرى خـطـاب الـتـقـويـض إمـكـانية استبقاء الصالح، بل إنه يشنع على الحداثة بكل صـورهــا ، وينفي تعدديتها وتباينها ، فلا يمكن حسب ذلك الرأي أن يقول حداثي أن له حداثته الخاصة التي تختلف عن حداثية أدونيس أو كمال أبو ديب ، لأن ركائز الحداثة واحدة ، وخطها العام واحد ، وهذا الرأي قد اجتالته أ فكاره الغيورة المتحمسة إلى الرغبة في طـمـس المـعـالم التحديثية وغيبتها ، دون إدراك مفارقة الأدبي للفكري ، في حين يؤكد الـخـطـاب الآخـر وبـكـل واقعية أن علينا »أن نتبين ميادين الجدل الحداثي فهناك الحيز الأدبي والحيز الفكري ولكل مجال متطلباته«(5)
لقد خلط الهم التحديثي عملاً صـالحاً وآخر سيئاً فكان لزاماً استبقاء ما ينفع الناس وإزهاق روح الـزبــد ، أمــا مـحـاولـة نـسـف المنجز الحداثي بكل مفرداته فتفكير عاطفي يهوي بالموضوعية في مكان سحيق. إن ذلك يعني إشراع النوافذ أمام حوار فني تتبادل فيه الآراء حول الجديد الوافد دون فرض مصادرة أو استعداء.

ثالثاً: منهج التعامل مع الأقوال الحداثية:

الـفـارقـان السابقان داخلان ضمن الفروق في منهج الـتـعـامل، لكن إفراد منهج التعامل مع الأقوال بفقرة منفردة يأتي تنبيهاً على خطورة هذا الـجـانـب. ذلك أن كثيرين يستصدرون أحكامهم عن ظواهر الأقوال من خلال ما يستبطنونه من نوايا، عبر توغل ينبت عن الظاهر البريء ليفتض بكارة الأصقاع المحجبة.
يؤكد خطاب التقويض مثلاً على أن في الحداثة ثورة على اللغة والعقيدة والتاريخ والدين ، ويضطر أحياناً لكي يؤكد هذه المقولة إلى لي أعناق النصوص المحايدة ليجعلها رفضاً للدين أو اللغة أو التاريخ!. رغم أن النص حمال يمكن أن يستوعب دلالة أرأف!.
إن الـعـقــل المتجرد يوجب »أن نتخطى التعميم والتشهير وعشوائية التصدي. وتلافي إطلاق الأحكام العامة.. وتـحــريـر المـســائـل وتـحـديـد الأحـكـــام وأخذ الأمور بقوة الفهم ودقة التصور«(6)، كما يـأخـذ عـلـى عـاتـقـه »إقامة جسور العودة، وفتح قنوات الاتصال، وطرح الفظاظة والغلظة وتحامي التشهير« (7).
إن الـتـعـامل الواقعي مع الظواهر المحدثة ومحاورتها كفيل ببلورتها وتصحيح منهاجـها، أمــا اسـتـعـداء الآخـرين واتهامهم بالمروق والفسوق والعصيان ، فلا يجب أن يكون إلا مع »الـفـئــات المكشوفة ، التي تعلن الحرب على الله والكون والإنسان فهذه لا هوادة معها ولا حوار«(8)
إن وجـود حــوار خـــلاق يـدرع جنح الكلمة المهذبة سيرسم الدروب والمسالك ويقـتطع من البيداء المهالك ، وهو ما قد يعيد للأصيل تعملُقه ،

ويقزم دور الطارئ الدخيل ، فضلاً عن أنه يمنح النقد مصداقية هو في مسيس الحاجة إليها.
إن الإسلام كما يأبى في الشعر والقصة إثارة الشهوة، فإنه يأبى في النقد شهوة الإثارة، وهو كـمـا يـرفـض أن يتسامق النقد لذات النقد فهوأيضاً يرفض أن يتسابق النقد لنقد الـذات، وكما الحرص علي إيجاد أدب إسلامي في الشعر والنقد يجب أن يكون الحرص على وجود أدب إسلامي في الحوار ، هذه البدهيات المغفلة يجب أن تنسرح إلى حيز الـفـعـل فـي كل حوار نقدي ، حتى لا يزل النقد الإسلامي أو يُزَل في مهاترات لا تجدي شيئاً. وأحـسـب أن زلات كتلك قد تعني سـلـبـاً للـمـعـطـيـات الإيجابية التي يمكن أن تريع في حضن النقد والإبداع الإسلامي بفعل التحاور الخلاق بين الرأي والرأي الأخر.
إني هـنـا لا أتـهـم أشخاصاً أو أبرئ آخرين ، بقدر ما أحسب أني وازنت بين نهجين من مناهج التعامل مـع الـرأي المضاد ، الذي وإن اختلفنا معه ، فلا يجب أن يكون اختلافنا ضدياً متشنجاً ، بل يجب أن يكون حوارياً هدائاً يمتلك مع فرادة التصور فرادة الأسلوب.
وعلى أي حال، يمكن لمن أراد الاستزادة في معرفة الحداثة ، سواء أكان من جهة جذورها أو أفكارها أو المنهج الناجع للتعامل معها، أن يقرأ مع كتاب د. الهويمل السابق كـتــاب: الـحـداثــة فـي مــيـزان الإسلام للدكتور عوض القرني وكتاب: أدب الردة للأستاذ جمال سلطان ، ففيهما حول هذا الموضوع غناء شاف وبيان واف.

الهوامش:

(1) الحداثة بين التعمير والتدمير ، د.حسن الهويمل ص39
(2) نفس المصدر ص46
(3) نفس المصدر 27
(4) نفس المصدر ص29
(5) الحداثة بين التعمير والتدمير ص28
(6) نفس المصدر ص34 35
(7) نفس المصدر ص38
(8) نفس المصدر ص37

المسلمون والعالم

الحالة الجزائرية الفصل الثالث
ثـم مـاذا؟!

د/ يوسف الصغير

إن ما يجري في الجزائر اليوم امـتـداد لما سمي بحرب الجزائر ، فالصراع كان بين تيارين أساسيين هما تيار الفرنسة والتيار الإســـلامي ، وعلى الرغم من تغير الأسماء فإن المسمى واحد ، فالحرب الأولى كانت بين الـجـيوش الفرنسية والمجاهدين الجزائريين واستمرت من عام 1839م لمدة نصف قرن ، ارتكـبــت خلاله الجيوش الفرنسية أبشع صور الإبادة، وتم لهـم في النهاية إخضاع الشعب الجزائري ، وبدأت مرحلة المسخ بعد مرحلة الإبادة، وخـلال هذه المرحلة قام الفرنسيون بجهود جبارة لإعادة صياغة الشعب ثقافياً ، وضُمّت الجزائر إلى فرنسا، فتم تشجيع الفرنسيين على الاستيطان في الجزائر، واستعمارها وسموا بالمعمرين ، وأعطوا أحسن الأراضي ، وتمتعوا بحقوق المواطنة من الدرجـــة الأولـى أمـا الشعب فهو فرنسي من الدرجة الثانية ، وتم فرض الخدمة العسكرية عليهم ، ولكــن لم يترقوا في الرتب، أما سياسياً فقد نشأت فروع للأحزاب الفرنسية في الجزائر وكانت أقصى أمـاني الأحــــزاب الوطنية أن ينال مواطنوا الجزائر حقوق الفرنسي، وفي هذه الأثناء قام الشيخ عبد الحميد بن باديس بإنشاء جمعية العلماء وكان لها دور كبير في المحافظة على الهوية الإسلامـيـة، مما مهد لقيام حرب التحرير التي كان الإسلام هو مرتكزها المعنوي، وكان الناس يقـاتلـــون لإخــــراج الفرنسيين الكفار من الجزائر التي يجب أن تبقى حرة ومستقلة عن فرنسا، وبالطبع كان هناك كثير من الجزائرين يقاتلون في صفوف الفرنسيين وهؤلاء انقسموا إلى قسمين، قـسـم بـكــر فـي اتـخـاذ القرار وانضم إلى جيش التحرير قبل انسحاب فرنسا ويمثلهم كثير من الضباط السابقين فـي الـجـيـش الـفـرنـســي، وهم الذين يحكمون الجزائر اليوم باسم فرنسا وعلى رأسهم خالد نزار ويعرفون بجنرالات فرنسا، أما القسم الآخر فقد خرجوا مع الفرنسيين وعاشوا في فرنسا يعانون من التهميش والإهمال فهم لا يعاملون معاملة الفرنسي على الرغم من تضحياتهم، حيث يعانون إحباطاً لا مزيد عليه فهم مـنـبــوذون من الجالية الجزائرية في فرنسا إضافة إلى إحساس الفرنسيين بأنهم عبء عليهم، غير أنه يتوجب عليهم إيواؤهم لأسباب أدبية.

وبعد إنـسـحـاب فرنسا العسكري من الجزائر تولى مقاليد السلطة بدعم دولي وإقليمي رجل يخطب في الـنــاس بالفــرنـسـيـة، ويحكمهم بالاشتراكية (أحمد بن بله) وبينما قام النظام الجديد بتقريب الشيوعيين الذين كانو يؤيدون لاستعمار الفرنسي، قام بايذاء وسجن شيوخ جمعية العلماء.

وعلى الرغم من تغير الحكام فـــإن سيطرة المتفرنسين كانت واضحة وتكونت منهم مافيا عسكرية وسياسية غرقت في الفساد ونهبت ثروات البلاد بل وحاولت بيع ثروات البلاد مقدماً وأوقعتها في ديون خارجية كبيرة حتى إن دخل البلاد لا يكاد يغطي ربا الديون فكيف بوفائها؟! وفي المقابل قامت هذه العصابة بالوقوف أمام التوجه الإسلامي بل وحتى نشر التعريب.

وعن طريقهم استمرت فرنسا في حكم الجزائر وكانت الأحداث الحالية دليلاً واضحاً على أن الجزائر لا تزال أسيرة الاستعمار الفرنسي حتى إن الشيخ رابح كبير صرح في حديث إذاعي أن وزير الداخلية الفرنسي يتحدث كأنه وزير داخلية الجزائر، وذلك تعليقاً على حادثة المجمع السكني الفرنسي في الجزائر.

ولهذا فإنه لا داعي لتحليل مواقف الحكومة الجزائرية لأنها وإن كان أركانها سواءً أكانوا البارزين أو المتوارين لهم مصالح يحـاولـــون الحفاظ عليها إلا أن بقاءهم مرهون بمواقف أسيادهم، فهم بين منفذ لسياسات الدولة الداعمة أو لاجئ إليها.

إن الحكم العسكري في الجزائر يحاول الحصول على دعم من أي جهة لديها استعداد، ولها مصلحة في دعم الوضع الحالي في الجزائر ويمكن تقسيم تلك الجهات إلى ثلاث: عربية وغربية وفرنسية.

أولاً : الموقف العربي:

إن نظام الحكم في الجزائر يحظى بدعم الدول العربية التي تشعر بخطر تنامي الصحوة الإسلامية وخوفها من قيام دولة إسلامية تعبر عن آمال شعبها في تطبيق الإسلام في كل مجالات الحياة ، ولكن مظاهر هذا الدعم تتفاوت فبلاد المغرب العربي في وضع حرج: فهي من جانب علاقاتها متوترة مع الجزائر فهناك مشاكل حدودية ساخنة مع المغرب، وأخرى تحت الرماد مع تونس وليبيا، ومن جانب آخر تخشى وصول الإسلاميين للحكم مما يجعل الدعم الواضح للحكومة مغامرة غير محمودة العواقب، ولهذا فالمغرب تارة يغض الطرف عن نشاط الجماعات المسلحة على جانبي الحدود، وتارة أخرى يتشدد معها حتى أنه سلم أمير الجماعة الإسلامية المسلحة (عبد الحق العيايدة) إلى حكومة الجزائر التي حكمت عليه بالإعدام، أما تونس فإنها لزمت الصمت عند فوز الجبهة في الانتخابات، ثم انحازت بصورة واضحة للنظام مما أدى إلى قـيـــام الجماعات المسلحة بعمليات انتقامية داخل تونس، أما ليبيا فهي كالعادة مواقفها متبايـنـــة وغير ثابتة والحكومة الجزائرية أحياناً تتهم ليبيا بإيواء المجاهدين، وأحياناً أخرى تشيد بالتعاون الأمني وتتحدث عن دعمها اللفظي طبعاً لليبيا في وجه الحصار المفروض عليها.

أما الدول البعيدة فمنها من يتراوح تأييده بين دعم مادي وبين تعاون أمني وثيق عن طريق إرسال ضباط وخبراء في التحقيق والتعذيب وعلى أي حال فإن وضع النظام الميئوس منه لا يشجع على التورط معه في علاقة قد تؤثر على مستقبل العلاقة مع تلك الأنظمة في حال سقوطه.

ثانياً: موقـف الدول الغربية:

وهي تنقسم إلى دول من الدرجة الثانية، وهذه الدول همها المنافع المادية المجردة بغض النظر عن طبيعة نظام الحكم فمثلاً إيطاليا يهمها بقاء الـعـــلاقات الاقتصادية الحالية، ولكنها لا تتبنى النظام السياسي، ولهذا فهي تدعوا إلى حوار يشمل جميع الأطراف، بل وتقول: إن النظام يعاني من مشكلة الشرعية أما الدول القوية وبخاصة أمريكا وألمانيا فإن لهما مصالح اقتصادية وأهداف سياسية مستقبلية في الجزائر: فـمـثـلاً أمريكا لها مصالح حالية كبيرة في الجزائر وهي تأمل في تأمين هذه المصالح ، وتسعى إلـى ملأ الفراغ الذي يتوقع أن يشغر بخروج فرنسا النهائي من الجزائر ولهذا فهي تسعى إلى بناء علاقات مع كل من الحكومة الحالية ، ودعمها مالياً ولو بصورة محدودة نظراً لإحساس أمريكا بعدم جدوى الدعم للنظام وأن سقوطه مسألة وقت ومن جانب آخر تحــرص على ربط علاقات ببعض الأطراف ممّن يمثل الجبهة الإسلامية للإنقاذ وبخاصة تيار الجزأرة ، ويلاحظ أن موقف أمريكا الرسمي هو تفضيل بقاء النظام الحالي كما هو مع علـمـهـــا باستحالة ذلك، ودعوة النظام من جهة أخرى إلى الحوار الجاد مع الأطراف الأخرى التـي لا تـمـــارس الـعـنـف، مما قد يعني ضمناً استبعاد جبهة الإنقاذ، وهذا يتوافق مع الموقـف الفرنسي، ولكنه لا يتوافق مع الموقف الفـعلي الأمريكي في محاولتة لربط خيوط الاتصال مع جميع الأطراف ويـبـــدو أن الموقف الأمريكي يحاول الجمع بين أمرين متناقضين وهما استبعاد الإسلاميين عن الحكم وأن تحل أمريكا محل فرنسا في الجزائر، وهذا الجمع مما يصعب تصوره فإبعاد الإسلاميين يقتضي ترسيخ الدور الفرنسي، وخروج فرنسا يعني سقوط النظام في يد الإسلاميين، وبالتالي فإن أمريكا تصرح بأن هناك اتفاق في وجهات النظر مع فرنسا، ولكن ليس هناك تطابق فيها، وقد شرح أحد الدبلوماسيين الأمريكيين الوضع في الجزائر في لقاء له مع وسائل الإعلام ، ومما نشرته »الحياة« في 8/2/1415هـ نقتطف ما يلي:

»قال: إن الوضع المتدهور في الجزائر مقلق« ، ونفى أن تكون بلاده تنازلت عن الجزائر أو أنها مقـتنعة بأن حكومة إسلامية هي المستقبل الوحيد فهذا ليس الواقع »لقد أيدنا جهود الإصلاح الاقتصادي عبر إعادة جدولة ديونها الخارجية في نادي باريس وصندوق النقد الدولي وحضضنا الحكومة على توسيع قاعدتها السياسية الضيقة جداً عبر الحوار مع كل القوى السياسية التي ترفض العنف والإرهاب« في البلد.

إلى أن قال: »أما النتيجة الأكثر ترجيحاً في حال استمرار التدهور فهي اتجاه البلاد نحو نوع من البلقنة ، وهذا سيكون تطوراً سلبياً يشجع بعض المناطق الأخرى مثل مناطق البربر لأن تصبح أكثر ميلاً للانفصال هذا هو السيناريو المرجح في حال استمرار التدهور«.

ثالثاً: الموقف الفرنسـي:

إن فرنسا تعاني من عقدة الشعور بأن هناك انحساراً سريعاً في النفوذ الفرنسي في العالم وتراجع على جميع المحاور أمام الزحف الإنجلوسكسوني فهناك مشكلة تراجع اللغة الفرنسية سواءً أكان ذلك على مستوى أوربا أو على مستوى العالم، وحتى في فرنسا يعاني الفرنسيون من زحف الثقافة الأمريكية الناطقة بالإنجليزية، أما في إفريقيا فإن التراجع مستمر ويحاول الفـرنـسـيـون باستماتة الحفاظ على آخر مناطق نفوذهم فأنشأوا الرابطة الفرانكفونية وتورطوا في النزاعات الداخلية لحماية مصالحهم، وقد تمت هزيمة فرنسا في رواندا وحلت محلها أمريكا بدون جهد كبير ، ويمثل الوضع في الجزائر أكبر التحديات أمام الحكومة الفرنسية فهـنـاك داخـــل الحـكـومـــة تنافس كبير بين وزيري الداخلية والخارجية حيال الملف الجزائري مما يوحي بحالة التردد في التعامل مع الجزائر بين عقليتين، عقلية أن الجزائر ما تزال ينظر لها على أنها أمتداد لفرنسا أو أنها بلد لها فيها مصالح مهمة، أما الشعب الفرنسي فهو يعيش بين مشاعر العنصرية والمكابرة إزاء المطالبة بالتدخل في الجزائر وبين الإحساس بالعجز ومطالبة الحكومة بالكف عن سياستها الخرقاء في الجزائر والعمل على عدم الغرق في أتون المشكلة الجزائـريـــــة، ويبدو أن الحكومة الفرنسية متورطة في دفع فاتورة ليس لها حد من أجل حماية النظام ومحاولة منع سقوطه مع إحساسها بعدم جدوى الدعم حتى إن وزير خارجيتها يتساءل عن مصير مساعداتهم ولا شك أن ارتكابها لأعمال استعراضية مثل عمليات التفـتيش والتدقيق التي ليس لها عائد سوى إحساس المسلمين بالغبن والإذلال مما يزيد من تفاقم الوضع ويدل بالتالي على حالة التخبط التي تعيشها فرنسا مع إحساسها بأن هناك من يسره تتالى أخطائها لأنه يعد العدة للعب الدور التالي الذي قد ينجح فيه، وقد يناله ما نال فرنسا، وما أعنيه أن أمريكا دأبت على وضع رجلها في موضع قدم فرنسا الخالي، وللذكرى فإن أمريكا حاولت أن تنجح فيما فشلت فيه فرنسا في فيتنام حيث إنه بمجرد خروج فرنسا مكسورة الجناح دخلت أمريكا بكل خيلائها وجبروتها فنالها ما نال فرنسا، والذي لا شك فيه أن مستقبل الجزائر يحدد داخل الجزائر نفسها، ولن يستطيع أحد من الأعداء التأثير عليه إلا من خلال ثغرة موجودة في صفوف القوى الإسلامية المؤثرة، ولا يمكن إخفاء أن هناك ثغرات يحاول العدو النفاذ منها ، فهل نعمل على سد هذه الثغرات؟ ونعمل بجد على الوصول الى الهدف المعلن وهو إقامة دولة إسلامية تحاول أن تسير على منهاج النبوة ، أم نضيع في خـضــم الخلافات والأهداف القريبة التي قد تجعل من الخطوات الأخـيـــرة أصـعـــب الخطوات؟ وإذا كان جهاد الشعب الجزائري قد سرق منه قبل أكثر من ثلاثين سنة ، فهل نكرر الخطأ ، ونجعل غيرنا يحقق أغراضه على حسابنا ، ففرنسا تريد أن تفشل المشروع الإسلامي في بدايته وإذا كانت أمريكا ترى استحالة ذلك فلا يعنى أنها لا تحاول إفشاله في مرحلـة قـادمـــة ، فالحذر الحذر والبدار البدار إلى تحديد الأهداف

وإعداد الوسائل ودراسة الواقع بإيجابـيـاتـه وسلبياته ،.من أجل الخروج بتصور لحل المشاكل الداخلية التي تعترض سبيل الجهاد لإعادة الوجه الإسلامي المشرق لأرض المليون شهيد.

الساحة الجزائرية والنظام العالمي الجديد:

إن ما يجري في الجزائر قد فـضــح مـــا يـسـمــى بالنظام العالمي الجديد وتبجح الغرب بالديمقراطية ودفاعه عنها حتى لقد بلغ بهم الأمــــر أن يصدروا قراراً في مجلس الأمن يخول أمريكا تشكيل قوة لغزو دولة (هاييتي) مدعين أن هذا لمجرد إعادة الرئيس المنتخب ديمقراطياً وإسقاط النظام العسكري الحالي ، ومن جـــانب آخر يحذر القس والسياسي الأمريكي جيكي جاكسون« نيجيريا« من فرض حصار اقتصادي عليها إذا لم يسلم العسكريون الحكم لرجل الأعمال (مسعود أبيولا) الذي يعتقد أنه فــــاز في الانتخابات النيجيرية الأخيرة ، ولا ينتهي العجب عندما نرى الدول الغربية تدعم في الوقت نفسه زمرة من العسكريين الذين قاموا بإنقلاب عطل المسار الانتخابي وشن حـربـاً على الذين فازوا في الانتخابات الجزائرية ، ويبدو لي أنهم يرون أن الشعب الذي يعـتـمـد فـي طعامه على المعلبات المستوردة يجب عليه أيضاً أن يحكم بأفكار معلبة مستوردة من الخارج أيضاً ، ولما كان المسؤولون الفرنسيون يتبجحون بأنهم يسعون إلى محاربة الإرهاب فـي الجزائر حتى إنهم أخيراً أرسلوا ألف مظلى فرنسي بكامل سلاحهم إلى الجزائر مما يشكل بداية التورط الفرنسي المباشر فإنه من المستحسن عرض بعض الممارسات والوسائل التي يتبعها النظام في محاربة الشعب المسلم ، وسنكتفي بمقتطفات من رسالة كتبها المحامي الفـرنسي المعروف بدفاعه عن الجزائريين أيام حرب التحرير وبعلاقاته الحميمة مع أركان الـنـظــام »جاك فرجس« وقد أختتم رسالته بكلمات يتبرأ فيها من أصدقائه القدامى الذين تخلوا عن المبادئ ومارسوا ضد ا لشعب نفس ممارسات المستعمر الفرنسي ، فقال »لهؤلاء الذين ارتدوا عـلـى أنـفـسـهـم أقول: وداعاً للجزائرين إلى الأبد ، جزائر المخلصين والمضطهدين ، والضعفاء« وحيث إن الـرسـالـــة طويـلـة ومـلـيـئـة بالـتـفـاصـيـل أختار منها لقطات معبرة منها

شهادة إسماعيل منصوري الذي يقول:

جَرّدَنا رجال الدرك من ملابسنا تماماً ، وأوثقونا من أرجلنا وأيدينا وأحرقونا بنافثة لهب ، وحقننا أحدهم بمادة في »القضيب« ، لم نكن نملك أي جواب على أسئلتهم ، فقد الكثير منا استخدام عضو من أعضائه ، وقد أورد المؤلف لائحة طويلة بمن ماتوا تحت التعذيب نختار منم ما يلي:

1- محمد عمروش: سبعة وعشرون سنة ، مؤذن بمسجد النصر ، أغتيل من قبل الشرطة أمام المسجد بينما كان رافعاً يديه إلى فوق.

2- سيد مقيرش: يـلـقــب بـ(محمد لَماَنَّ) من كل سكان حي المدينة بالجزائر العاصمة لأمـانـتـه وثـقـتـه ، تم إيقافه من طرف رجال الدرك ببوزريعه« تحت إمرة (رئيس رقباء مساعد) توفي تحت التعذيب ، تم فتح تابوته رغم منع السلطات لذلك فوجدوا أن أعضائه قد قطعت بالمنشار الكهربائي.
وقد تطورت أساليب النـظــام حيث عمدوا في الفترة الأخيرة إلى أسلوب العقاب الجماعي والتصفية العشوائية حيث إن قتل أحد عناصر الأمن في شارع أو في قرية يعني قيام قوات الأمن الخاصة »النجا« باعتقال وتصفية مجموعة من الشباب حتى الذين لم يكن لهم دور في الحادث ، وهذا يدل على الـطـريــق المسدود الذي وصل إليه النظام حيث يعتبر أن كل الناس ضده ، وبدون تمييز ومن الملاحظ أن قوات الأمن يقومون بتغطية وجوههم خوفاً من كشف شخصياتهم ، وهذا ليس بمستغرب فإنه إذا كان الحكام الفعليين في الجزائر غير معروفين تماماً: فكل من (بن جديد »و(بـو ضـيــاف) و(علي كافي) و(زروال) واجهات يتم إجبارها على الاستقالة أو قتلها أو تنحيتها من قبل (المافيا الخفية) ، فإنه من الطبيعي أن يكون المرتزقة حريصين على عدم معرفتهم لحرصهم على حفنة من النقود التي تعطى لهـم من المساعدات الدولية مع العلم أن المجند العادي في الأمن يتقاضى أجراً أكثر من الطبيب مع انتشار البطالة حيث لم يعد أمام الشباب ســـــوى الاضمام إلى قوات الأمن أو البقــاء عاطلين ومعرضين للاعتقال أو الخروج إلى الجبال للانضمام إلى المجاهدين الذين نجحوا في إخراج النظام من كثير من المناطق حتى إن العاصمة بها مناطق محرمة على أعوان النظام ، وتدل عملية مهاجمة سكن السفارة الفرنسية التي كـان يحــرسـهـا الدرك الفرنسي ومقـتـل خمسة من الدرك والدبلوماسيين وخروج المهاجمين بدون أي خـسـائـر على الرغــم من أن الحراسة مشددة في هذه المنطقة مما تدل على مقدار الفشل الذي يلاقيه النظام فـي إصراره ومن ورائه فرنسا على الحل الأمني ، أي القضاء على المجاهدين ، وكما يصرح المسؤولون الفرنسيون أخيراً أنهم يحضون الحكومة على إجراء الانتخابات في الوقت المناسب أي بعد تصفية الإسلاميين أو تحجيمهم.
ولكن أنّى لهم ذلك وكيف يثق بهم أحد بعد ما تسببوا في إدخال البــلاد فـي نفق مظلم ، بتعطيلهم المسار الانتخابي ورفض خيار الشعب ، والله نسأل أن يعلي كلمته وينصر جنده إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير.

المسلمون والعالم

أدركوا مسلمي بورما
قـبـل فـوات الأوان*

د. مـحـمـد يـونـس**
يتعرض إخواننا المسلمون في إقليم »أراكـــان« فـي بـورمـــا إلـى حرب شاملة تقوم على القتل والتشريد والتعذيب ، مخالفة لكل الشرائع ومصادمة لما يسـمـى بحقـــوق الإنسان من قبل الطغمة الحاكمة البورمية البوذية ، وهذا موجز عن أوضاع هذا الشعب الـمـسلم المضطهد ، وما يعانيه من حرب عنصرية شديدة يتناساها العالم ، لكن حين تتعرض زعـيـمة المعارضة البورمية لمضايقة بسيطة لا تصل إلى »واحد في الألف« مما يتعرض له المسلمون ، تقـوم الدنيا ولا تقعد ، ويشنع على حكومة »رانجون« بدعوى مخالفتها لحقوق الإنسان ، أما الـمـسلمون فلا مـؤيــد لـهـــم ، وقد سبق لمجلة »الـبـيـان« أن تطرقت بالتعريف بهذه المنطقة من خلال دراسة موسعة عن هذا الشعب في العدد (52).

- الـبـيـان -

»أراكان« المحتلة هي الدولة الإسلامية التي تكاد أن تُنسى من أذهان كثير من المسلمين مع مرور الأيام والسنين ، وهي تقع في جنوب غرب بورما البوذية والساحل الشرقي من خليج البنغال ، تحدها من الشرق سـلسـلة جبال أركان التي تعتبر امتداداً لجبال هملايا وتجعل أراكان منفصلة تمامـاً عن بـورما البوذية وتعطيها شكل وحدة جغرافية مستقلة ، كما تمتد حدودها من الشـمــال مــع بنجلاديش نحو (176) ميلاً ، بينما يمتد ساحلها على خليج البنغال نحو (360) ميلاً ، ويتـجـــــاوز عدد سكانها الأربعة ملايين ونصف المليون نسمة حوالي 70% منهم مسلمون ، يعرفون باســم »الروهنجيا« و 25 % بوذيون يعرفون باسم »الماغ« ، 5 % أقليات أخرى من النصارى والهندوس وعباد الظواهر الطبيعية.!

ومازال المسلمون يعانون الأمرين من القمع الــــذي تقوم به الحكومة البورمية البوذية منذ احتلال هذه المنطقة من قبل الملك البوذي (بودوبـيــــه) عام 1784 م وإلى الآن ومما يحدر ذكره أن أماكن المسلمين الروهنجيا ليست في أركان فـقــط ، وإنما في العديد من المواقع بما فيها العاصمة رانجون.

وفي عام 1991 م استغلت حكومة بورما البوذية الأحداث التي حدثت بعد أزمة الخليج الثانية ، فاستأنفت مسلسل القتل والتعذيب والقتل والتشريد ضد مسلمي أراكان الأبرياء ، واستمرت المجازر والمذابح ضدهم لا لشـيء سـوى إصـرار هـــــذا الشـعب على عقيدتـه الإسـلامية ومطالبته بالحرية والكرامـة ((وما نقموا منهم إلا أن يومـنـــوا بـــالله العزيز الحميد))[البروج: 5] فكان نتيجة لتلك المجازر الوحشية ، وسياسة انتهاك الأعراض الجماعية ، وتردي الأوضاع الأمنية ، أن اضطر أكثر من (300) ألف مسلم روهنجيا من بينهم الأطفال والنساء وكبار السـن إلى مغادرة ديارهم إلى دولـة مجـاورة هي

»بنجلاديش« وقد أجبرت هذه الهجرة الجماعية المفاجئة بنجلاديش التي تعاني اضطرابات سياسية واقتصادية مستمرة على توقيع اتفاقية مع بورما نصت على:
1- العودة الفورية والسريعة للمهاجرين إلى ديارهم.
2- أن تقوم الحكومة البورمية بتعويض المسلمين عن كل ما فقدوه.
3- السماح لمسلمي أراكان بحرية السفر والتنقل داخل البلاد وخارجها.
4- أن تصدر الحكومة البورمية بطاقة الجنسية للمسلمين فور عودتهم إلى بلدهم.
5- تعويض المسلمين عند استخدامهم قسراً عمالاً لبناء السدود والطرق.
وفي الواقع أنه لم ينفذ أي بند من بنود هذه الاتفاقية بل العكس هو ما حدث فقد استبدلت القوانين العنصرية بأخرى أشد صرامة ، وأصبح التنقل للمسلمين في أراكان أصعب من السابق ، وازدادت عمالة السخرة والاحتجاز القسري وحوادث القتل والتعذيب والاعتقالات واغتصاب النساء وإجبار الفتيات المسلمات على الزواج من البوذيين ، وإليكم فيما يلي بعض النماذج من هذه الممارسات التي تركتبها الطغمة البوذية الحاكمة ضد المسلمين في أراكان فهي تساعد على إلقاء الضوء على الوضع المأساوي الذي يمر به المسلمون في هذا البلد المنسي:

من الناحية الدينية:

1- هدم المساجد وتحويلها إلى مراقص وخمّارات ودور سكن.
2- يتعرض العلماء والدعاة وطلبة العلم للامتهان والضرب ، وإرغامهم على العمل في المعتقلات.
3- عدم السماح للدعاة بالانتقال من مكان إلى مكان لممارسة الأنشطة الدعوية ، ولا يسمح بدخول العلماء والدعاة من الخارج لأعمال الدعوة والإرشاد بين إخوانهم المسلمين.
4- مصادرة أوقاف المسلمين ومقابرهم وتحويلها إلى مراحيض عامة أو حظائر للخنازير والمواشي.
5- يدخل أفراد الجيش البورمي البوذي في المساجد بأحذيتهم ونجاساتهم حاملين زجاجات الخمر تحدياً لمشاعر المسلمين.
6- غير مسموح للمسلمين ببناء المساجد أو المدارس ولا إصلاح القديم منها كما لا يسمح لهم باستخدام مكبرات الصوت في الأذان.
7- غير مسموح بأداء فريضة الحج للمسلمين من أراكان باستثناء عددقليل ممن ترضى السلطات البورمية البوذية عن سلوكهم ، وهذا من باب الدعاية أيضاً.

من الناحية الاجتماعية:

1- صدر في عام 1982 م قانون جديد للجنسية والهجرة وبموجبه قرر أن شعب أراكان المسلم شعب بلا وطن ، وليس لهم حق تملك أي عقارات في الدولة ولا ممارسة الوظائف في الدوائر والمؤسسات الحكومية.
2- إجبار الفتيات المسلمات على الزواج من البوذيين.
3- إصدار توجيهات من قبل السلطات البوذية بين وقت وآخر تهدف إلى تحويل المجتمع المسلم إلى مجتمع إباحي.
4- ترويج الخمور وإشاعة الفاحشة بين أبناء المسلمين الشباب على نفقة الحكومة بالمجان.
5- إرغام المسلمين على العمل بدون تعويض كبناء السدود ، وحفر الخنادق للجيش ، وحمل بضائعهم إلى المناطق الجبلية النائية.
6- إقامة مستوطنات بوذية جديدة بين قرى المسلمين بهدف تغيير التركيبة السكانية في أركان ، وعلى وجه الخصوص في مناطق الكثافة السكانية للمسلمين.

من الناحية الاقتصادية:

1- مصادرة أراضي المسلمين وأوقافهم وإقامة معابد البوذيين ومستوطناتهم عليها.
2- حجز قوارب صيد الأسماك التابعة للمسلمين ومصادرتها لأد نى سبب.
3- عدم السماح للمسلمين ببيع محاصيلهم الزراعية ، مما يؤدي إلى خسارتهم.
4- منع المسلمين من شراء الآلات الزراعية الحديثة لتطوير مشاريعهم الزراعية.
5- عمليات السلب والنهب لأموال المسلمين تتم تحت إشراف عمال الحكومة.
6- إلغاء العملات المتداولة بين وقت وآخر من دون تعويض المسلمين عنها
7- إحراق محاصيل المسلمين الزراعية ، وقتل مواشيهم
8- عدم السماح للمسلمين بإقامة أي نوع من الصناعة في أراكان.

الموقف الحالي:

يتغلغل الخوف الدائم في قلوب الحكام البورميين من أن التنامي السكاني للشعب المسلم هناك ، لذلك يقومون بإكراه المسلمين على ترك شعائر دينهم واعتناقهم للحضارة البوذية وثقافتها ، وهذا يؤدي إلى منع المسلمين أن تقوم لهم قائمة ، وبالتالي ينجحون في مخططاتهم التي انتهجوها للقضاء على المسلمين منذ أول يوم لاستقلال بورما ، وللوصول إلى هذا الهدف فقد اتخذوا خطوات منها:
1- غير مسموح للنساء أن يتحجبن خارج المنزل.
2- على النساء والفتيات المسلمات أن يخرجن للعمل في الحقول

3- لا يسمح للشباب المسلمين بإعفاء لحاهم.
4- غير مسموح للرجال المسلمين بارتداء زيهم المعتاد
5- يجب على المسلمين الحصول على إذن مسبق قبل الزواج.
6- إجبار الفتيات المسلمات على تناول موانع الحمل ، بينما ممارسة هذا العمل تعتبر خرق لقانون الدولة بالنسبة للبوذيات.
7- غير مسموح للرجل المسلم أن يتزوج أكثر من واحدة.
8- إرغام المسلمين على الانحناء للعلم البورمي.
9- المراقبة المستمرة على المساجد والمدارس الدينية.
ولمـتـابـعــة هذه الخطوات التعسفية وتنفيذها قرروا بأن المسلم الذي يعفي لحيته لا يقبض راتب عمـلـــــه حتى يحلقها ، ولا يسمح له بركوب الباصات والقوارب ، والنساء اللاتي يخرجن متحـجـبـــات يمزق حجابهن ، ومنذ مطلع عام 1994 م قامت حكومة »رانجون« البوذية باجراءات بشعة تجاه علماء الدين والقيادات الإسلامية في أراكان، فـي خـطـــــوة خـطيرة ضـد المـسلمين هـناك فقامت السلطات العسكرية بالقبض على عدد كبير من العلماء والمشايخ واعتدت عليهم بالضرب والسجن، وقامـت سـلـطـــات السجن بحلق لحى العلماء والمشايخ وتشويه وجوههم ، ولم يكتفوا بهذه التجاوزات، بل وصل بهم الأمر إلى اغتصاب بنات هؤلاء العلماء والمشايخ على أيدي أفراد القوات البوذية المسلحة.
وعلى صعيد آخر فقد تتابعت الأخبار الواردة من داخل أراكان بأن الطغمة الحاكمة البورمية البوذية لا تزال تصر على تكرار الأسباب والعوامل التي أدت بالشعب المسلم الروهنجيا إلى الهجرة والتشرد ، وعلى عدم اعترافها بهؤلاء المسلمين باعتبارهم مواطنين أصليين ، بالإضافة إلى امتداد عملياتها الإرهابية واجراءاتها التعسفية ، واعتقال زعماء المسلمين ، ونهب أموالهم واستباحة حرماتهم وإرغام سكان القرى والمدن من الرجال والنساء والأطفال وكبار السن كل يوم على العمل بدون أي تعويض ، كرصف الطرق في المناطق الجبلية ، وحمل أسلحة الجيش والعتاد إلى الغابات والمناطق الجبلية.
كما أن الطغمة الحاكمة البوذية البورمية شكلت مؤخراً قوة خاصة باسم »الدفاع عن الحدود« (ناساكا) التي تضم رجال المخابرات السرية ووحدات انتحارية من الجيش ورجال الشرطة والجوازات ، لملاحقة المسلمين ، ووفقاً للنظام الأساسي الذي تشكلت بموجبه هذه القوة الخاصة ، فقد أعطيت امتيازات مثل حق تنفيذ أي عملية بدون إذن رسمي سابق من قبل الحكومة ، كما أن لها اتخاذ أي اجراءات تراها مناسـبة ضـد المسـلمين دون الرجوع للقضاء أو المحاكمات ومقر هذه القوة ولاية أراكان المسلمة ، لتمارس فيها ما تشاء من الإيذاء وصنوف التعذيب والقتل ضد المسلمين ، ونفذت حتى الآن عشرات العمليات ضد المسلمين الأبرياء منذ أن تم تشكيلها وقتل خلالها عدد كبير من الشباب المسلمين وأودع مئات آخرون في السجون باتهامات باطلة ،

وفي الوقت الحاضر صار العلماء المسلمون على وجه الخصوص هدفاً لحملات هذه القوة.
وأخيـراً قد اشتدت حدة اعتداءات الطغمة الحاكمة ضد المسلمين كثيراً ففي الأسبوع الأول من شـهــــر مـايــــو 1994 م تم اعتقال عدة مئات من المسلمين عشوائياً في بلدتي »مونغدو وبوتهيدونغ« من بـيـنـهــــم (64) امرأة وطفل ، وهم يواجهون الآن شتى أنواع التعذيب في السجون والمعتقلات.
وعمليات التعذيب والظلم قد تتعدى حدود ما كانت في السابق ، فقد جرى اعتقال ثلاثمائة مسلم في الفترة من 23-25/5/1994 م بما فيهم بعض عمد قرى المسلمين والعاملين التابعين لهم ، وهم يتعرضون في المعتقلات لعمليات التعذيب على أيدي قوات (ناساكا) ، كما ذبح (11) مسلماً من قبل هذه القوة الغاشمة في »مير الله« وهي منطقة قيادة »علي تائنجو »جنوب بلدة »مونغدو ».
كما أجبرت القوات المسلحة البورمية العاملة في جنوب بلدة "مونغدو" (20ر000) مسلم من سكان القرى على نقل أسلحة الجيش وبضائعه من مكان إلى آخر،كما استخدموا باعتبارهم دروعاً بشرية في العمليات العسكرية ضد المجاهدين وخلال تلك العـمـلـيـات تـم قتل عدد كبير من هؤلاء المسلمين والفلاحين العاملين في أراضيهم باتهامات كاذبةأنهم علـــى علاقة بالمجاهدين.
هذه هي الحالة التي يعيش في ظلها المسلمون، وبمـوجـــب حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: »مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كالجـسـد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى« فإن مأساة أراكان وقـضـيـة الشـعب البورمي ليست مأساة وقضية شعب واحـــــــد، بل هي مأساة جميع الأمة الإسلامية، بل مأساة الإنسانية جمعاء. إن قضية هذا الشعب تـشكـل محنة مركبة ومضاعفة ، وهي كارثة إنسانية كبيرة، وجريمة في حق المجتمع الدولي وضد القانون الدولي ، وإن إبادة جنس بشري أو فئة معينة داخــل بورما لا يعتبر شأناً داخلياً يخص بورما وحدها ، لأنه يتعلق بحقوق الإنسان التي يـنـص عـلـيـها ميثاق الأمم المتحدة ، ويزعم الغرب أنه يدافع عنها.
فـنـنـاشدكم يا إخواننا أن تقوموا بواجبكم تجاه هؤلاء المسلمين المضطهدين في رانجون على ايقاف مـمـارسـاتـهـــا التعسفية وممارساتها القمعية وحملات الإبادة المنتظمة ضد المسلمين هناك، كما نناشد من خلال مجلة »الـبـيـان« الجهات المسؤولة في كل بلد مسلم أن تقف وراء شعب في أراكان في كفـاحـهم لاستعادة حقوقهم المغصوبة من الاستعمار البوذي البورمي وأن تمارس كافة الأساليب السيـاسـيـة والدبلوماسية والاقتصادية للحد من ممارساتها العدوانية تجاه هؤلاء المسلمين العزل،كما نأمل تسهيل وسائل التعليم والمعاش والتنقل لهم ولأولادهـم ((وإن اسـتنصروكم في الدين فعليكم النصـر))[الأنفال: 72]

((واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين))[هـود: 115].

من أخبار مجاهدي الروهنجا:

وردنا من الأستاذ »سعيد الرحمــن« أمين عام منظمة تضامن الروهنجا ما يلي من آخر أخبار المجاهدين هناك:

1- وقعت دورية مؤلفة من (35) جندياً في كمين أعده مجاهدو المنظمة في 19/5/1994 م شمالي قرية »فانسي« التي تبعد (48) كم شمال مدينة »بوتسمي دونغ« في محافظة »أراكان« ، وقد قتل (11) جندياً بورمياً في الكمين والجدير بالذكر أن القوات البورمية العاملة في جنوب مدينة »مونج داو »أجبرت حوالي (20،000) مسلم من سكان القرى على نقل الأسلحة والقيام واستخدمتهم باعتبارهم دروعاً بشرية في العمليات العسكرية ضد المجاهدين، وقتلت خلال العملية هذه عدداً من الفلاحين بحجة أنهم من المجاهدين الروهنجا.

2- بتاريخ 15/6/1994 م قامت مجموعة من مجاهدي الروهنجا بمحاصرة ومـهـاجـمــة دوريــة تابـعــة للجيش البورمي في الموقع العسكري في »خاندونج« بينما كانوا يستريحون في مضافة القرية شـرقي فـومالي على بعد (6) أميال جنوب شرق »بوتيدونج« ، وقد قتل (7) من أفراد الدورية الثمانية فــــوراً ، واسـتـولـى المجاهــدون على أسلحتهم ، ثم قامت قوات المجاهدين بنصب كمين للقوة الحكومية المساندة ، وحـدثـت مـواجهـــة ثانية مع القوات المتقدمة قتل خلالها عنصر من القوات البورمية واضطرت باقي القوة إلـى التراجع حاملة معها بعض الجرحى ، وعادت قوات المجاهدين إلى قواعدها سالمة.

الهوامش:

*من بيان منظمة (الروهنجيا) أراكان بورما بتصرف بـسـيـط ولهــا مجـلـة التضامن صوت المنظمة باللغة العربية وهي تستحق الاشتراك فيها لمساعدتها بالدعم لتواصل رسالتها في الدعوة والتعريف بالمسلمين هناك ، وعنوانها:

c/o Dr. Mohammed Yunus
P.O. Box 795
Chittagong, Bangladesh

**هو رئيس منظمة تضامن الروهنجيا الإسلامية.

المسلمون والعالم

العمل الإسلامي في إفريقيا

حوار مع د/ عبدالرحمن السـميط

الـتـحـريـر

العمل الإسلامي الخيري بأنواعه الـمـختلـفـة (الإغاثي التعليمي الدعوي... ونحوها) عمل جديد نسبياً ، ولكنه خطى خطوات متسارعة في السنوات الأخيرة.. فكيف تقومونه ، مع إيجابيات العمل وسلبياته؟

.خلال الخمس عشرة سنة الماضية شهدت الـسـاحــة الإسـلامـيــة نمواً كبيراً جداً للعمل الخيري ، ورغم التوفيق الذي حالف الغالبية العظمى من هذه الـمـنـظـمات بفضل من الله سبحانه وتعالى ، وذلك من خلال ما حققته من نجاح طيب في كثير من الميادين ، إلا أنني أود أن أركز هنا على نماذج من السلبيات التي حدثت والتي أتمنى أن نقوم نحن العاملين في المؤسسات الخيرية بمراجعة أنفسنا وتصحيح هذه الأوضاع الخاطئة ، ومنها على سبيل المثال:

أولا: بدأت تبرز عـنـد البعض روح الانتماء للمنظمة التي يتبعها حتى طـغـت عـلـى روح الانـتـمـاء للإسـلام ، مما أثر على العمل الإسلامي في المناطق التي يعملون بها ، وأحياناً يحدث هذا بحسن نية ونادراً ما يحدث بصورة أخرى. ودعني أضرب لك مثالاً :

.قمت بزيارة لمنطقة نائية في شمال كينيا ، واكتشفت وجود قبائل أصلها إسلامي ، ولكن لا يوجد بينهم دعوة إسلامية منظمة ، وكان يوجد شخص من المدرسين الحكوميين يقوم بتدريس مادة الدين الإسـلامي في بعض المدارس الثانوية ، و كان لديه استعداد طيب ، وبدأ فعلاً في الدعوة في وســط هـذه القبائل ، وكنا بحاجة له للتفرغ للدعوة الإسلامية ، ولكن ظننا أننا لو سحبناه من الـمـــدارس ستصبح بدون مدرسين مؤهلين ، وبخاصة وأن التعيينات الآن في تلك المدارس صعبة جـــداً ، مما يعني بقاء الطلبة في المرحلة الثانوية بدون توجيه إسلامي ، فتركناه على وظيفته على أن يعمل في أيام العطل معنا في الدعوة ، وفوجئنا بإحدى المنظمات تعرض عليه راتـبـــاً خيالياً وتنقله إلى مكان آخر ، بينما كان بالإمكان تعيين أي شخص بديل له في ذلك المكان ، ومن السهل وجود أشخاص بديلين عنه هناك ، ونجم عن ذلك أن أصبحت المدارس بدون دعوة ، وكذلك القرى التي كان يزورها ويدعو الناس فيها فقدته أيضاً ، وأعتقد أن هذا التصرف ناتج من أن الأخوة لم يروا إلا من زاوية ضيقة (من وجهة نظر مصلحة المؤسسة التي يعملون بها فقط) ، ولهذا نجد تنقلات كثيرة بين المؤسسات الإسلامية أعتقد أن أشد المنظمات ضرراً على العمل الإسلامي هم أولئك الهواة الذين يأتون وفي جيوبهم كثير من المال ، ويعرضون الرواتب الخيالية في الأزمات ، ثم ينسحبون بمجرد أن تنتهي الأزمة ، ويبقى هؤلاء الموظفون مشردين بدون وظيفة ، وقد حصل هذا في المجاعة التي أصابت الصومال وشمال كينيا ، حيث يوجد عدد غير قليل ممن كانوا موظفين في الحكومة وفي غيرها ، وتم إغراؤهم برواتب خيالية فاستقالوا من وظائفهم للعمل في بعض المؤسسات ، واستغنت عنهم تلك المؤسسات بعد انتهاء المجاعة ، فأصبحوا يمدون أيديهم

إلى الناس طلباً للإحسان بعد أن كانت لديهم وظيفة يستطيعون أن يخدموا الإسلام من خلالها.
ثانياً: ومن السلبيات تدافع المنظمات للعمل في نفس المكان ، وكم كنت أتمنى لو قمنا بالابتعاد عن أي مكان توجد فيه إحدى المنظمات الإسلامية والانتقال إلى أماكن أخرى ، فالساحة تستوعب الجميع ، وما حدث في مجاعة الصومال مثال على ذلك حيث تركز عمل أغلب المنظمات الإسلامية في منطقة مقديشو وما حولها ، وها نحن نرى تدافعاً للمنظمات الإسلامية في بعض المناطق مع إهمال كامل لمناطق أخرى ، فموزمبيق مثلاً يوجد بها ست منظمات رغم محدودية العمل ورغم أن أغلب المنظمات لم تقدم شيئاً ملموساً حتى الآن لإخوانهم المسلمين ، ورغم المشاكل الإدارية التي تكتنف عمل بعض المؤسسات الإسلامية ، بينما دولة مثل غينيا الاستوائية التي فيها أعداد كبيرة من المسلمين ، ومثل نيجيريا والكميرون والكنغو لا يوجد فيها حضور حقيقي لمنظمات ميدانية تقدم عملاً خيرياً في هذه المناطق إلا ما ندر.
ثالثاً: إصرار بعض المنظمات رغم العجز الإداري الموجود لديها على التوسع بدون حدود ، مما أوجد خلخلة في أعمالهم ، فنجد بعض العاملين يبقون أشهراً طويلة بدون رواتب وبدون تعليمات ، دعك من الزيارات الميدانية التي يفترض أن يقوم بها العاملون في المكاتب الرئيسة للاطلاع على مشاكل مكاتبهم في مختلف المناطق ، وهذا أوجد إحباطاً في نفوس إخواننا من الدعاة في هذه المناطق مما عاد بسلبيات كثيرة على العمل الخيري.
رابعاً: عدم قيام بعض المنظمات الإسلامية بتدقيق المحاسبة بشكل يضمن وصول المساعدة إلى المحتاج فعلاً ، كما قرر المتبرع ، مما أوجد فئة من الناس ممن قلت تقواهم فأصبحوا يجتهدون في هذه الأموال ، وأصبحت الحدود غير واضحة في أعينهم بين المصالح الشخصية ومصالح الإسلام وهناك سلبيات كثيرة تحتاج إلى وقت أطول ومجال أرحب.
*العمل الخيري من الأعمال الشاقة المجهدة.. فما هي الصعوبات الرئيسة التي ترون أنها تواجه العمل الخيري ، وكيف يمكن تجاوزها أو التقليل من آثارها؟
كثير من العاملين في العمل الخيري يدّعون أن المشكلة الرئيسة هي المال وأنا أعتقد أن غالبية المؤسسات الإسلامية لديها مشكلة مالية ، ولكن المشكلة ليست في قلة الأموال ولكن في تخمة الأموال التي لا تستطيع أن تضعها في موضعها الصحيح ، والمشكلة الرئيسة في نظري هي إدارة العمل الخيري حيث لا يوجد أشخاص مؤهلين للعمل في المؤسسات الخيرية الإسلامية نتيجة حداثة عهدها ، وهناك أيضاً انعدام الرقابة الميدانية عند بعض المؤسسات التي مدت جذورها بشكل كبير في وسط المتبرعين ونست الزيارات الميدانية وأهميتها في الرقابة الإدارية والمالية ، كما أن هناك صعوبة يجب أن لا نغفلها ،

وهي عدم وجود الغطاء السياسي للعمل الخيري الإسلامي ، فالدول الإسلامية بصورة عامة دول ضعيفة أو دول لا تود الدخول في إشكالات سياسية لحماية العمل الخيري الذي ينبع من دولها ، بينما نجد أنه ما أن تمس مؤسسة أمريكية أو ألمانية أو إنجليزية إلا وتقوم قيامة حكومات تلك الدول وتتدخل لدى أعلى المؤسسات الحكومية في إفريقيا وجنوب شرق آسيا ، لصالح العمل الخيري الذي تقوم به المؤسسات الغربية ، بينما نحن المسلمين كالأيتام على موائد اللئام وأضرب لك مثالاً بلجنة مسلمي إفريقيا ، وهي ليست فريدة في ذلك حيث قتل العديد من دعاتنا في عدد من الدول مثل الصومال وليبيريا وسيراليون وموزمبيق وغيرها ، وإطلاق النار على مؤسساتنا شيء لم يعد يثيرنا بسبب كثرة ما يحدث ولا نستطيع أن نلجأ إلى أي جهة لتقوم بحمايتنا ، بل إنه حتى في الصومال برزت النعرات الوطنية والإقليمية بشكل مزعج ، فأنت عندما تطلب قوات لحماية الإغاثة التي تنقلها من مكان إلى آخر ، يقول لك المسؤول هناك: أنك لست تابعاً لبلدي ولا أستطيع أن أحميك ، بينما هو يقوم بحماية الإغاثة التابعة لمؤسسات نصرانية باسم الأمم المتحدة ، وكنت أتمنى أن نحس بالوحدة الإسلامية أولاً ، وبالوحدة الخليجية ثانيا في حماية المؤسسات الخيرية الخليجية بصورة خاصة ، والمؤسسات الإسلامية الأخرى بصورة عامة ، بغض النظر عن هذه الحدود المصطنعة التي وجدت بين دولنا.

*التخطيط والتدريب والمتابعة.. من الدعامات الرئيسة لنجاح العمل الخيري ، فما هي مرئياتكم حيال هذا الموضوع؟

أعتقد أن العمل الإسلامي الخيري إذا أريد له النجاح فلابد له من وضع خطة مستقبلية مع تقييم لما نفذ من هذه الخطة على مراحل ، ويكون هذا التقييم بإجراء محاسبة إدارية ومالية دقيقة في المكاتب الرئيسة ، بالإضافة إلى زيارات ميدانية دورية لأمكنة العمل ، حيث لاحظنا أن بعض المؤسسات الخيرية تعتمد على الإدارة من بعيد دون أن تعلم ماذا يحدث في الميدان حقيقة ، بل إنها تعتمد اعتماداً كلياً في اتخاذ بعض القرارات المهمة على التقارير التي تصلها. أما مشكلة التدريب ، فمع الأسف الشديد قليل من المؤسسات التي تقوم بدورات تدريبية ولكنها لا تكون على المستوى المطلوب ، وينعكس ذلك على مستوي العمل مما يجعل بعض العاملين يتحدثون عن أمور يجهلونها.

*للمنظمات التنصيرية خبرات طويلة وإمكانات هائلة وجهود جبارة في العالم الإسلامي.. فمن خلال خبرتكم في إفريقيا هل لكم أن تذكروا لنا بعض الإحصائيات لحجم هذه الأنشطة ، وما هو دور المؤسسات الإسلامية في مواجهة المد التنصيري؟

الإحصائيات موجودة في المراجع الأجنبية وبخاصة المراجع التنصيرية وأضرب مثالاً بكنيسة »المرمون« التي زاد عدد أتباعها أكثر من 16 % خلال السنوات

الأربع الماضية في إفريقيا ، كما أن الكنيسة الكاثوليكية تبذل عشرات الملايين من الدولارات على العمل التنصيري في إفريقيا ، حيث ازداد عدد الكاثوليك وهم فئة من فئات النصارى ما بين عام 1980 إلى عام 1994 م من 52 مليون إلى 92 مليون ، والمعروف أن البابا الحالي زار إفريقيا لأول مرة في عام 1980 م ثم زارها بعد ذلك عشر زيارات ويوجد حالياً 55 ألف طالب يدرسون الرهبنة الكاثوليكية في إفريقيا ويوجد حالياً 20700 قسيس و 42 ألف راهبة ، يساعدهم 264 ألف مساعد ديني متفرغ للقسس في أعمالهم الدينية اليومية ، فإذا كان هذا في إفريقيا وحدها ، فما بالك في المناطق الأخرى ، ولوحظ كذلك أن رجال الكنيسة بدأوا الدخول في السياسة بدعم من الفاتيكان ، رغم أن الفاتيكان ينفي ذلك تماماً ، ولكن من الواضح جداً أنه لا يمكن أن يقوموا بما قاموا به من تدخل سياسي بدون هذا الدعم الخفي من الفاتيكان ، وكمثال على ذلك ، هناك خمس دول يرأس المجالس الوطنية أو البرلمانات بها قسس كاثوليك برتبة أسقف في غرب إفريقيا ، وقد كانت البداية في »بنين« حينما أصبح الأسقف »إيسادور ديسوزا« رئيساً للبرلمان في عام 1990 م ، ثم حدث نفس الشيء في الكنغو والغابون والتوغو وزائير ، ويرأس الحركة الانفصالية في جنوب السنغال قسيس كاثوليكي ، كما أن الكنيسة الكاثوليكية متورطة حتى آذانها في الحركة الانفصالية في جنوب السودان ويقيم »جون قرنق« أثناء زيارته إلى نيروبي نصف المدة في كنيسة كاثوليكية في ضواحي نيروبي ، والنصف الثاني في كنيسة بروتستنتية ، وبكل وضوح يقوم بهذا العمل بينما تدخلت الدول الغربية لتحريم إقامة أي حزب على أساس ديني في خمس دول ذات أغلبية إسلامية ، وهي موريتانيا ، والنيجر ، وتشاد ، والسنغال ، وغينيا كوناكري ، حتى لا يكون للإسلام صوت في السياسة ، وحسب إحصائيات المجلة الدولية لأبحاث التبشير وهي مجلة علمية أمريكية فإن ما تم جمعه خلال عام واحد لصالح الكنيسة في شمال أمريكا وغرب أوروبا بلغ 181 مليار دولار ، ويوجد لديهم 2050 محطة إذاعة وتلفزيون ، ويملكون في دولة مثل أندونيسيا 64 مطار ، ويمكن من هذا أن نقدر عدد الطائرات التي يملكونها.

*صلة القارة الإفريقية بالإسلام صلة قديمة جداً ، وقد كان للغة العربية حضور مبكر في القارة ، ولكن استطاع الاستعمار استبدال اللغة العربية وحروفها باللغات الغربية والأحرف اللاتينية.. فهل لكم أن تذكروا لنا بعض تلك الجهود في ذلك؟

الإسلام لم ينزل على إفريقيا (ببراشوت: مظلة) وإنما له جذور عميقة ، فمنذ هجرة الحبشة الأولى االتي دخل بها الإسلام إلى إفريقيا قبل أن يدخل إلى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وقد اكتشف قبل مدة مسجد في جزيرة »باتي« في شرق كينيا عمره 1350 سنة ، واكتشف مسجد له نفس العمر في شمال زنجبار وفي جزيرة »بمبا«. وفي زيارتي الأخيرة إلى

»مدغشقر« وجدت كثيراً من الآثار الإسلامية التي يعود تاريخها لأكثر من ألف سنة ، ويذكر أحد الباحثين الغربيين أنه وجد قبراً في زيمبابوي كتب عليه:
(بسم الله الرحمن الرحيم
»هذا قبر سلام صالح الذي انتقل من الدار الفانية إلى الدار الباقية عام 95 من هجرة النبي العربي«)
.وهناك قرائن تثبت أن العرب كانوا قد سكنوا جنوب إفريقيا قبل الرجل الأبيض ، بل قبل الرجل الأسود ، وأقصد جمهورية جنوب إ فريقيا التي كانت عنصرية ، وإلى عهد قريب جداً كان الحرف العربي هو الحرف الذي كان يستخدم في الكتابة في إفريقيا بدون منافس ، حتى جاء الاستعمار والتنصير الغربي في منتصف القرن الماضي ، وأخذ يحارب الحرف العربي لأنه ينتمي إلى لغة القرآن ، واستطاع أن يغير كثيراً من اللغات ، من أواخر اللغات التي غيرت من الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني لغة »الهاوسا« في شمال نيجيريا ، واللغة الصومالية وغيرها ، وكانت اللغة العربية لغة رسمية في كينيا إلى عام 1964 م ثم ألغيت ، ومع الأسف الشديد فإن العرب لا يقدمون شيئاً للدفاع عن لغتهم ، حينما قام أحد الوزراء ذوي التوجه الإسلامي في السنغال بإلغاء اللغة الألمانية في بعض المعاهد نظراً لعدم الحاجة لها ، تدخلت ألمانيا وقطعت جميع المساعدات حتى اضطر أصحاب القرار هناك لإقالة هذا الوزير ، وفي »تشاد« تم إقرار اللغة العربية لغة رسمية ، ولكن رغم هذا لم تتقدم أي دولة عربية بإرسال مدرس واحد للغة العربية في المدارس التشادية ، ولذلك بقيت اللغة العربية لغة رسمية حبراً على ورق ، وحتى الإذاعة العربية فكانت إلى عهد قريب تبث لمدة ربع ساعة فقط ، بينما الإذاعة باللغة الفرنسية تبث لعدة ساعات نظراً لعجز الإذاعة العربية عن توفير برامج ومعدات تحتاج إليها ، وقد صدر منذ شهر قرار من تشاد بأن تكون جميع اللافتات في الدوائر الرسمية باللغة الفرنسية واللغة العربية ، ورغم هذا لم تجد أي تشجيع من الدول العربية لذلك.

*كيف بدأت صلتكم الشخصية بإفريقيا ، وما هي العقبات الأولى التي واجهتكم في العمل ، وما أبرز نشاطات لجنة مسلمي إفريقيا؟

أذكر منذ كنت أعمل في كندا في السبعينات أنني ألقيت محاضرة على مجموعة من الطلبة المسلمين في أمريكا عن جهود التنصير، وتحـمــس الأخــــوة وطلبوا مني أن نفعل شيئاً، فاقترحت في محاضرة أخرى أن يدفع كل طالب مبلغاً يتراوح ما بين نصف دولار إلى دولار شهرياً وبصورة مستمرة ، ثم يجمع ذلك المال ونطبع بـه كتباً ونوزعها في الدول المحتاجة وبخاصة في إفريقيا ، وعندما عدت إلى الكويت بعد انتهاء دراستي وتدريبي شعرت بأن العمل الطبي لا يستوعب طاقاتي ، وحصلــت على بعض التشجيع من بعض المسؤولين ، ونحمد الله سبحانه وتعالى أن تبرعت لـنـــا إحدى المحسنات لبناء مسـجــد ، فذهبنا إلى »ملاوي« لبناء المسجد ، وما وجـدنــــاه هناك

كان يدمي القلب ، وعلى إثرهـــا كنت أحد المؤسسين للجنة مسلمي إفريقيا ، وقررنا منذ البداية أن نعمل بشكل علمي بحت ، وأن لا ننظر في الحالات الـفــردية ، وأن ننظر إلى المجتمع الإسلامي ككل ونحاول أن نـنـمـيه ، فنحن لا نـسـاعـــد شـخـصـاً بذاته لأنه محتاج للمال أو لغيره ، ولكن نحاول أن نـبـنــي المؤسسات التعليمية والصحية والاجتماعية والإغاثية لهذه المجتمعات ، وأذكر أنه في أول ثلاثة اجتماعات كنا بأمس الحاجة إلى 500 دولار ولم نستطع أن نجـمـعـهـا ، ولكن بعد ذلك نحمد الله سبحانه وتعالى على أننا قد تجاوزنا الامتحان في هذا الجانب فـي الأيــام الأولـى مـــن بدايـــة عمـلـنـا حتى أصبحت الأن لجنة مسلمي إفريقيا أكبر منظمة عالمية متخصصة في العمل الإسلامي فـي إفـريقـيا حيث يغطي عملها أربعين دولة في إفريقيا ولها مكاتب متعددة هناك ولدينا 3288 داعـيـــة مـتفــرغاً وهو عدد يفوق ما لدى جميع الدول العربية المشتركة ، ولدينا أكثر من نصف مليون طـالـب يدرسـون فـي 840 مدرسة تديرها لجنة مسلمي افريقيا عبر مكاتبها الميدانية ، وحفرنا 760 بئراً ، ولـديـنـــا أكثر من 200 طـالـــب يدرسون الدراسات العليا وبخاصة في مجال الطب والهندسة والعلوم فـي عــــدة جامـعـــات في الدول العربية والأجنبية ، كما قمنا بترجمة وطباعة وتوزيع أكثر من 5.6 مليون كتيب إسلامي بـ 18 لغة وبالطبع لدينا إذاعة للقرآن الكريم وهي الإذاعة الإسلامية الوحيدة التي تمتلكها منظمة إسلامية ، وتغطي 16 دولة إفريقية في غرب إفريقيا ومقرها »سيراليون« وتبث بعشر لغات ، وقد أسلمت عدة قرى ومناطق بسبب سماعها للإسلام حيث لم تكن قد وصلتها الدعوة الإسلامية من قبل ، ومع الأسف الشديد فإن هذه الإذاعة تعاني من مشاكل مالية بعد أن استمرت عشر سنوات في البث بدون انقطاع.

في دائرة الضوء

الكتاب الإسلامي: وقفات نقدية
ودعوة للارتقاء نحو الأفضل

أحمد بن عبدالرحمن الصويان

انتشر الكتاب الإسلامي انتشاراً واسـعـاً ، وأصـبـحــت له الصدارة في دور العرض والنشر ومعارض الكتاب الدولية والمحلية ، وسجلت مبيعاته أرقــامــــاً قياسية منقطعة النظير ، وساعد في انتشاره تطور آليات النشر والطباعة تطوراً مذهلاً ، فأصـبحت دور النشر تقذف بسيل متدفق من الكتب بألوانها البراقة وعناوينها الجذابة ، وأصبح المتابع للجديد يعجز عن الإحاطة

بذلك ، وبخاصة مع فوضى الكتابة والنشر ، وغياب المؤسسات العلمية التي تنظم ذلك وتحتويه أو تتبنى الكتب المتميزة بعد دراستها وتقويمها.
وأمام هذا الركام المتتابع من الكتب تضيع ا لكتابات العلمية الجادة التي يـكـتـبـهـا أهل الـقــدرة والإتقان ، وبخاصة إذا لم يكونوا من أصحاب الأسماء اللامعة المشهورة ، ويظهر هذا جلـياً مع غياب القارئ الناضج غالباً الذي يملك قدرة نقدية تؤهله للتمييز بين الغث والسمين ، حيث أصبح كثير من القراء كالتائه الغريب لا يدري أين يتجه..!
وعلى الـرغـــم من العمر الطويل نسبياً للصحوة الإسلامية المعاصرة ، إلا أن القدرة العلمية لكثير من أبنائـهـا لم تنضج بعد ، ويظهر ذلك في العقلية الهشة التي نشاهدها في المنظومة الثقافية السائدة هنا وهناك. مع أنّ أبناء الصحوة مقارنة بغيرهم أكثر الناس ثقافة واهتماماً بالقراءة وإقبالاً عليها بمختلف تخصصاتها.
وللمادة المكتوبة المعروضة في الساحة تأثير كبير جداً في صنع وتشكيل فكر القراء ، وتقويم هذه المادة وتحليلـهـا ضــــرورة ملحة تساهم في إثراء المعرفة العلمية وترشيدها ، وفي هذه الورقات سوف أقف وقفات عابرة عند بعض الكتابات الإسلامية الحديثة ، لعلها تساعد في تسديد النقص وتقويم الخطأ.

الوقفة الأولى: في أهداف التأليف:

أولاً: التجديد والإبداع:

تختلف أهداف التأليف من كـاتـب إلـى آخــــر، ولـكــن من السمات الظاهرة في الكتابات الإسلامية غياب الإبداع والتجديد ، فالكتابة الأصيلة الجـادة التي تـقــــدم إضافة علمية جديدة قليلة جداً ، إذا قورنت بالعدد الكبير الذي تنتجه المطابع ، فمـعـظــــم الكتابات تكرار واجترار لا جديد فيها ، فالمسألة الواحدة تجد فيها عشرة كتب مثلاً أو أقل أو أكثر كلها تدور حول أفكار واحدة وتعرض بطرائق متشابهة ، وقد لا أبالغ إذا قلت وباستخدام مفردات وجمل وشواهد واحدة..!
وهذا ناتج في كثير من الأحيان عن عجز بعض الكتاب وافتقادهم لآلية الكتابة وأدواتها ، والإبداع لا يأتي من فراغ ، فهو ثمرة لتراكم مجموعة كبيرة من العلوم والمعارف والخبرات.
وكثرة الكتب في الموضوع الواحد لا تدل على أنّهُ أعطى حقه من الدرس أو أنه بحث بحثاً متكاملاً ، بل إنّ ذلك قد يتطلب مزيد بحث وتأصيل ، إمّا لأنّ الكتابات السابقة كلها أو بعضها ضعيفة ، أو أن الموضوع واسع ولم تستوعب جميع أطرافه ومسائله.

ولا يعني هذا أنّ كل كاتب مطالب بأن يأتي بأفكار جديدة دائماً ، ولكن إذا لم تكن الفكرة جديدة فليس أقل من التجديد في أسلوب العرض والمناقشة والتحليل.
قال الإمام النووي في بيان آداب التأليف: »وينبغي أن يكون اعتناؤه من التصنيف بما لم يُسبق إليه أكثر ، والمراد بهذا ألا يكون هناك مصنّف يُغني عن مصنّفه في جميع أساليبه ، فإن أغنى عن بعضها فليصنّف من جنسه ما يزيد زيادات يحتفل بها مع ضمّ ما فاته من الأساليب«(1).
وقال صاحب الأزدي: »لا ينبغي لمصنّف يتصدى لتصنيف أن يعدل عن غرضين: إمّا أن يخترع معنى ، وإمّا أن يبتدع وضعاً ومبنى ، وما سوى هذين الوجهين ، فهو تسويد الورق ، والتحلي بحلية السرف«(3).
و قال حاجي خليفة: »ثم إن التأليف على سبعة أقسام ، لا يؤلف عالم عاقل إلا فـيـهـا ، وهي: إما شيء لم يسبق إليه فيخترعه ، أو شيء ناقص يتممه ، أو شيء مغلق يشرحه أو شـيء طـويــل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه ، أو شيء متفرق يجمعه ، أو شيء مختلط يرتبه ، أو شيء أخطأ فيه مصنفه فيصلحه«(3)
وجماع هذه المقاصد التأكيد على ضرورة الإتيان بالجديد ، والحرص على الإبداع والابتكار ، والذي ينبغي تأكيده أنّه على الرغم من كثرة الإصدارات وتتابع المطبوعات الحديثة ، إلا أنّ الأصيل النافع هو الذي يبقى والزمن كفيل بإماتة الغثاء ، قال الله تعالى: ((فأما الزبد فيذهب جفاء وأمَّا ما ينفع الناس فيمكث في الأرض)) (سورة الرعد: الآية 17).

ويعجبني في هذا السبيل موقفان رائعان:

الموقف الأول: قال المفضل بن محمد بن حرب المدني: ».. ثم إنّ مالكاً عزم على تصنيف الموطأ ، فصنّفه ، فعمل من كان في المدينة يومئذ من العلماء الموطآت ، فقيل لمالك: شغلت نفسك بعمل هذا الكتاب وقد شاركك فيه الناس وعملوا أمثاله ، فقال: ائتوني بما عملوا ، فأتي بذلك. فنظر فيه ثم نبذه ، وقال: لتعلمنّ أنّه لا يرتفع من هذا إلا ما أريد به وجه الله.
قال المفضل: فكأنّما ألقيت تلك الكتب في الآبار وما سمع لشيء منها بعد ذلك بذكر!«(4).
الموقف الثاني: قال البويطي لشيخه محمد بن إدريس الشافعي: »إنك تعتني في تنظيف الكتب وتصنيفها ، والناس لا يلتفتون إلى كتبك ولا إلى تصنيفك ، فقال: يابني إن هذا هو الحق ، والحق لا يضيع«(5)

ثانياً: التنظير الثقافي

بعض الكتابات الإسلامية تميل إلى التنظير الثقافي ، ولا يتم تنزيلها على أرض الواقع الذي تعيشه الأمة ، فهناك فجوة عميقة فسيحة بين الهم الثقافي والمعاناة اليومية التي تعيشها الأمة الإسلامية ، وإنّ التجريد والإغراق في

التنظير ، وتحويل الكتابة إلى متعة ثقافية أو أطروحات فنية ، لا يخدم الدعوة الإسلامية بحال ، فما لم تتحول الأطروحات الثقافية إلى مشروعات عمل وإنجازات مشاهدة ملموس فإنها تبقى كلمات باردة لا حياة فيها.
إنّ الكتابة الإسلامية ليست صنعة يتكسب بها المرء ، أو هواية يشغل بها وقته ، وإنمّا هي إحساس بالمسؤولية ينبض بمشكلات الأمة واحتياجاتها ، ومن ثم فإن الكاتب الناجح هو الذي ينزل من صومعته الفكرية وبرجه العاجي ويتلمس هموم الناس وأحاسيسهم ، ولابد من تفاعل وتواصل يتسم بالحيوية والجدية بين الكاتب والقارئ ، ولكن مع الأسف الشديد لازال الخطاب الإسلامي بعيداً عن رجل الشارع ، وهو أقرب إلى السلبية والارتجال ، منه إلى الإحساس بواقع الأمّة.
لقد غلبت عزلة الكتاب الإسلامي عن الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي ، فهو لا يقدم الأطروحات العلمية التي تنطلق من المستجدات المتلاحقة التي تمر بها الأمة الإسلامية ، والتي تفرزها بيئات متباينة سياًسًيا ً واجتماعياً ، فالدراسات الشرعية الحديثة المتخصصة في الفقه والتوحيد ، ونحوهما اقتصرت على التحقيق والترتيب والتبويب والاختصار ، ونحو ذلك. وهذه مطالب في غاية الأهمية ، ولكنها قصرت تقصيراً واضحاً في معالجة احتياجات العصر ومستجداته.
ففي مجال الدراسات العقدية ، قل أن تجد دراسات متخصصة لمناقشة الفلسفات الغربية المعاصرة ، التي ملأت الساحة بضجيجها ، وقل أن تجد دراسات متخصصة للرد على دعاة التغريب والحداثة ، وما بعد الحداثة ، ونحوها.
ومما يلزم ذكره أنّ أئمتنا وأسلافنا رضي الله عنهم كانوا يعالجون القضايا التي احتاجت إليها عصورهم ، فقضية الإمام الشافعي ، تختلف عن قضية الإمام أحمد بن حنبل ، وتختلف عن قضية الإمام ابن تيمية ، وإن كانت كلها تجتمع في إطار واحد
أما نحن فقد وقفنا عند قضايا المتقدمين ، ولم نهتم الاهتمام اللازم بقضايا عصرنا التي تحيط بنا من كل مكان ، فعصرنا الذي نعيش فيه وإن كانت قضاياه تشارك بعض قضايا هؤلاء الأئمة في بعض المسائل ـ إلا أنّه قد استجدت فيه مسائل وأحوال كثيرة تحتاج إلى اجتهادات جديدة ومعالجات علمية مستفيضة ينهض بها علماء الأمة ومجتهدوها.
وأمّا في مجال الدراسات الفقهية فهناك قصور بيّن في دراسة فقه النوازل ، مثل: (المعاملات المالية المصرفية بتعقيداتها الكثيرة ، التأمين ، العلاقات الدولية.. ونحوها). وإن كانت هناك إسهامات محمودة مشكورة في هذا الميدان ، لكنها لا زالت قليلة وتحتاج جهداً أكبراً
وأما في مجال السياسة الشرعية فالأمر فيها أصعب ، والدراسات التي يُعتمد عليها في هذا الباب لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة ، وكتاباتنا السياسية لا تعدُ

في الغالب أن تكون توصيفاً للواقع أو لبعض جوانبه ، وهي تعمد غالباً إلى تصوير العدو الخارجي وكأنه أخطبوط امتد لكي يحيط بكل شيء ويسيطر عليه ، وأما نحن فمجرد أحجار على رقعة شطرنج!! ومن ثم فإنّ الخطط التي تدار ، والدسائس التي تحاك هي سبب هزائمنا المتلاحقة ، والنتيجة الطبيعية هي الهروب من المسؤولية بإلقاء التبعة على العدو الخارجي دائماً.!!
إنّ مشكلات الأمة الإسلامية ، مشكلات كثيرة ، متعددة الألوان متعددة الاتجاهات ، معقدة تعقيداً كبيرا ، وتحتاج إلى دراسات علمية جادة ناضجة تنفذ إلى العمق ، وترسم السبيل الأمثل لوعي الأمة وعزتها.

الوقفة الثانية:

الموضوعية العلمية في البحث والدراسة والتحليل:

تميزت بعض الكتابات الإسلامية بضعف ظاهر في اعتماد الموضوعية العلمية في البحث والدراسة والتحليل ، ومن علامات ذلك:

أولاً: ضعف منهج الاستدلال العلمي:

إنّ الاعتماد على المصادر الشرعية للاستدلال والتلقي ، مطلب أساس لسلامة البحث العلمي واستقامته على الجادة الصحيحة ، وقد تواترت الدلائل الشرعية لتقرير ذلك والتأكيد عليه ، قال الله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى االله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاْ)) [سورة النساء: الآية 59] ، فالأدلة المتفق عليها هي: الكتاب والسنة والإجماع واختلف العلماء في القياس ، وأكثرهم على اعتباره دليلاً رابعاً إذا استوفى الشروط العلمية التي قررها علماء الأصول.
وقد انحرف عن هذا السبيل فئتان:
الفئة الأولى: الذين أهملوا النصوص الشرعية عل اختلاف ظاهر في درجة الإهمال وأدى ذلك إلى استحداث مصادر أخرى للاستدلال والتلقي. ومن هذه المصادر:
(1) الاعتماد على الآراء والعقول البشرية المجردة ، مع توافر النصوص الشرعية المحكمة ، كما هو الحال عند أصحاب المدرسة العقلية ، ومن دار في فلكهم من أهل الرأي الذين يعارضون بأقيستهم الفاسدة وآرائهم الناقصة النصوص الثابتة المحكمة.
(2) الاعتماد على أقوال الشيوخ والرجال ، وجعلها حجة في ذاتها وتقد يمها على الكتاب والسنة الصحيحة.
(3) الاعتماد على الذوق والوجد والإلهام والكشف ، كما هو الحال عند الصوفية والباطنية.
(4) حصر الحق في منطقة أو بلد أو طائفة بدون حجة أو برهان.

الفئة الثانية: أخذوا بالأدلة المتفق عليها ، ولكنهم تعاملوا معها بحرفية صارمة أدت إلى الانحرافات التالية:
(1) عزل النص الواحد عن النصوص الأخرى ، وأخذه كأنّه وحدة مستقلة ، أو أخذ النص بمعزل عن المقاصد الكلية للتشريع الإسلامي ، وهذا يؤدي بالضرورة إلى قصور بيّن في النظر ، وعجز في التصور ، ومعلوم أنّ المسألة لا تتضح معالمها إلا إذا جمعت أطرافها واكتملت أجزاؤها.
(2) إهمال الأصول والقواعد العلمية التي أصّلَها الأئمة الأثبات في فهم النصوص ، مثل العام والخاص ، والمطلق والمقيد ، والمحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ ، ونحوها.
(3) الاستهانة بأقوال الأئمة والفقهاء المتقدمين منهم والمتأخرين ، بحجّة أن النص موجود بين أيدينا ، ويمكن أخذه مباشرة ، فلسنا بحاجة للنظر في شيء آخر ، ويحتج بعضهم بأن أكثر الأئمة والفقهاء كان ينهى عن تقليده وكتابة أقواله واجتهاداته ، وقد يقول: هم رجال ونحن رجال..!
وفي هذا المنهج خطورة بالغة لا تحمد عقباها ، ونتيجتها الحتمية إهمال التراث العلمي العظيم الذي ورثناه عن أئمة الإسلام وفقهائه الأعلام ، وفرق كبير بين تقليد الأئمة وجعل أقوالهم في منزلة أقوال النبي المعصوم -صلى الله عليه وسلم-من جهة ، والضرب بها عرض الحائط وإهمالها من جهة أخرى..!
(4) تأثر فهم الكاتب بالبيئة الاجتماعية والتربوية والنفسية التي نشأ عليها ، فإذا كانت البيئة تميل إلى التساهل فأحكامه واختياراته متساهلة ، وإذا كانت البيئة تميل إلى التشديد ، فأحكامه واختياراته متشددة.
وخطورة هذا المسلك أنّ المرء يبني اجتهاداته العلمية بناء على الخلفية الفكرية التي نشأ عليها ، وهو لا يشعر بذلك على الإطلاق ، فيكون اختيار الباحث واجتهاده انعكاساً لبيئته ، ولذا فإن التجردفي البحث والتحليل من القضايا الدقيقة التي تحتاج إلى مزيد عناية ونظر.

ثانياً: الاستهانة بعقل القارئ وفكره من خلال المسائل التالية:

1- تلقين القارئ:

يسعى بعض الكتاب إلى تلقين القراء الفكرة المرادة وكأنها لوائح إدارية صارمة مجردة من الاستدلال العلمي والبرهان الشرعي ، ودور القارئ التسليم والقبول ، ثم التلقي والأخذ ، بدون نظر أو تأمل ، لأنّ الكاتب قد كفاه المؤونة ، وفكرّ بالنيابة عنه.
فالكاتب بذلك يربي القارئ على التبعية والتقليد ، وعلى الحفظ والتلقين ، وليس على النظر والتفكير ، والنتيجة قدرة فائقة على الحفظ والاجترار ، وعجز ظاهر عن التأمل والتعقل والنقد البناء.

إن الكاتب المتميز هو الذي يربي عقل القارئ ويدفعه إلى التفكير ويستحثه على النظر والمشاركة ، ويفتح أمامه آفاقاً جديدة من البح فحينما ينهي القارئ الكتاب الذي بين يديه ، ويبدأ بنشاط عقلي جديد يدعوه إلى التأمل وتقليب النظر ، ويثير عنده الرغبة في المساهمة الفاعلة ، فقدنجح الكاتب هنا نجاحاً ملحوظاً في ربط القارئ بما كتب وبمقدار ما يشعر القارئ بالحيوية والتفاعل ، يكون مقدار النجاح.

ولكن حينما يعجز الكاتب عن دفع القارئإلى التفكير ويبقي ذهنه ساكناً خاملاً ، فقدُ أخفق في ربطه والتأثير عليه ، والقارئ الذي يفقد القدرة على التفكير هو بالضرورة عاجز عن التفاعل والتواصل والانتفاع بما يقرأ..!

2- الوصاية على عقل القارئ وفكره:

يسعى بعض الكتاب إلى فرض الوصاية على عقل القارئ وفكره ومحاصرته ، وإلزامه بالنتيجة التي توصل إليها ، ويظهر ذلك في بعض الأحيان من عنوان الكتاب فضلاً عن مادته الأصلية ، فبعضهم يعنون لكتابه بقوله: (القول الفصل في..) ، (نهي الصحبة عن...) ، (إلزام الأصحاب بـ...). ، ويشعر القارئ حينما يقرأ لهؤلاء الكتاب في المسائل الخلافية التي تباينت فيها أنظار المجتهدين قديماً وحديثاً ، أنّ الحق معه بلا ريب ، وأنّ مخالفه على شفا جرف هار يُخشى أن ينهار به إن لم يتب...!

وليس خطأً أن يجتهد الكاتب في ترجيح أحد الأقوال بدليله إذا استفرغ وسعه وكان أهلاً لذلك ولكن الخطأ أن يصادر أقوال الآخرين ويحسم المسألة حسماً قاطعاً لا مراجعة فيه ، وفي هذا ازد راء بعلماء الأمّة ومجتهديها الذين لم يصلوا إلى ما وصل إليه..!!

ويتفرع من هذه المسألة أنّ بعض الكتبة قد لا يلزم القارئ بالنتيجة التي توصل إليها ، ولكنه يوهمه بأنّ المسألة لا يوجد فيها إلا قول واحد ، ويسعى لتلميعه وإبرازه ، وإن وجدت أقوال أخرى فهي عنده ضعيفة ليس لها حظ من الأثر أو النظر ، مع أنها قد لا تقل قوة عن القول الأول ، وقال بها أئمة مجتهدون ، وأخشى أن يكون في هذا الأسلوب لون من ألوان الخداع وفقد للأمانة العلمية التي تعد لازماً من لوازم البحث العلمي ، كما أنّ فيها مشابهة لليهود الذين يكتمون الحق ، قال الله تعالى: ((يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون)) (سورة آل عمران: الآية 71).

والمنهج العلمي يقتضي عرض الأقوال والحجج بأمانة كاملة ثم يُرجّح بناء على القواعد العلمية المتبعة عند علماء الأمة للترجيح بين الأقوال ، قال ابن تيمية: »يجب أن يكون الخطاب في المسائل بطريقة ذكر دليل كل قول ومعارضة الآخر له ، حتى يتبيّن الحق بطريقه لمن يريد الله هدايته«(6).

3- ضعف التركيز:

بعض الكتاب يبدأ الكتابة والفكرة لم تنضج بعد في ذهنه ، ولم يتصور المسألة تصوراً جيداً ، فيضطر إلى الخلط والتلفيق ، أو الدوران وفقدان التركيز ، رغبة منه في الوصول إلى مراده، فلا الكاتب قادر على استيعاب الفكرة، ولا هو قادر على إيصالها إلى القراء، والنتيجة المتوقعة إزاء ذلك ضحالة الفكرة وميلها إلى السطحية وقلة العمق.

إنّ الكاتب الناجح هو الذي يستطيع نقل الأفكار والمعلومات إلى القارئ بأقصى قدر من المنهجية العلمية ، مع سهولة العرض وسلاسة الأسلوب ، وأمّا الدوران والتنطع والتقعر في الكلام فكما أنّه يفسد الفكرة ويصعبها ، فهو يُملل القارئ وينفره.

قال الإمام النووي في بيان آداب التصنيف: »وليحرص على إيضاح العبارة وإيجازها ، فلا يوضح إيضاحاً ينتهي إلى الركاكة ، ولا يوجز إيجازاً يفضي إلى المحق والاستغلاق«(7).

وقال ابن الأنباري: »متى أمكن أن يكون الكلام جملة واحدة ، كان أولى من جعله جملتين من غير فائدة«(8).

4- المنحى العاطفي:

يغلب الخطاب العاطفي على كثير من الأطروحات الإسلامية ، فالمواعظ والقصص هي السائدة في طريقة المعالجة لعامة القضايا ، فالربا مثلاً لا يُعالج معالجة فقهية اقتصادية مؤصلة ، تحدّد فيها أبعاد المشكلة ومعالمها ، ثم تحدد آثارها وأخطارها على الفرد والمجتمع ، ثم ترسم الحلول والبدائل العلمية الجادة ، للنهوض بالأمة من هذا المأزق الخطير.

وهكذا عامة قضايا الأمة ينبغي أن تعالج بعلمية ، ولا تعالج بعواطف وعموميات تحوم حول الحمى ولا تقترب من أصل الداء ، ولا بأس أن توجد كتابات تركز علي الجانب العاطفي ، أو تتخصص فيه في مقاماتها ، ولكن لا ينبغي أن تكون هذه صفة سائدة في الخطاب الإسلامي، فالخطاب الوعظي يصلح لبعض الناس، ولكنه لا يصلح لهم جميعاً، كما أنّه يصلح لمعالجة بعض الموضوعات ، لكنه لا يصلح لها جميعاً والحكمة تقتضي وضع الشيء في موضعه اللائق به شرعاً وعقلاً .

يخيّل إليّ وأنا أقرأ لبعض الكتّاب أنّ تخلف الأمة القرون الماضية كلها يمكن أن يعالج بإذكاء العاطفة والإصلاح القلبي ، ولا شك بأنّ هذا تبسيط ضيق الأفق ، وإيقاظ البعد الإيماني لمعالجة مشكلات الأمّة مطلب أساس ولكنه بالمفهوم الشامل المتكامل لمعنى الإيمان ، ومن مقتضيات ذلك رسم الأوعية الشرعية الأصيلة للنهوض بالأمّة من كبوتها.

5- ضعف الرؤية الشاملة:

تفتقر بعض الكتابات الإسلامية إلى الرؤية الشاملة للإسلام ، وإنمّا تأخذ أصول الإسلام وشرائعه أجزاء متفرقة لا صلة لها ببعضها.

وظهر في هذا الإطار اتجاهان:
الاتجاه الأول: ركز على القضايا الكلية ، وأهمل ما يسميه بالثانويات والقشور والشكليات ، مع أنّها كلها ثابتة بالنصوص الصحية عــن النبي -صلى الله عليه وسلم-على اختلاف بيّن في تحديد المقصود بالكليات والثانويات.
ومن ذلك أنّ أحدهم كان ينعى على بـعــض الناس اشتغالهم في إثبات صـفـــة اليدين لله سبحانه وتعالى ، وفي الوقت الذي تمتد فـيـــه أيادي اليهود والنصارى لسرقة مـقــــدرات المسلمين وأموالهم ، فضلاً عن أيدي فساق المسلمين التي ترابي وتغش وتحتكر..!
وأحـســـب أنّ هذا الاختلاف مفتعل تماماً ، والحقيقة أنّه يمكن إثبات يدين لله سبحانه وتعالى تلـيـقـــان بـكـمـالــه وجلاله وعظمته ، ومع ذلك يمكن محاربة اليهود والنصارى والتحذير من ا لمرابين ونحوهم ، وأمّا تشطير الدين وتبعيضه فمما لم يرد عن الرعيل الأول من الصحابة والتابعين.
الاتجاه الثاني: ركز على جزئيات الشريعة ووضعها في موضع الكلـيــات ، وأدى ذلك إلي التساهل في الأخذ بأصول الإسلام ، وصرف الطاقات في قنوات مفضولة.
والصواب أنّه لا يجوز الاشتغال بالفروع على حساب الأصول ولا بالجزئيات على حساب الكليات ، كما لا يجوز إهمال الفروع والاستهانة بها، بدعوى أنها قشور وثانويات ، فكل شيء ثبت في دين الله عز وجل فهو حق يجب أن يقدّر حق قدره،ويوضع في موضعه اللائق شرعاً.
ونصوص الشرع وقواعده تقتضي البدء بالأهم فالمهم ، كما جاءذلك في حديث عبد الله بن عباس ، لما بعث النبي صمعاذاً إلى اليمن.(9)
وفقه الأولويات من المسائل المهمة التي تحتاج إلى مزيد بحث ودراسة وتأصيل.

الهوامش:

(1) المجموع شرح المهذب (1/30)
(2) التعريف بآداب التألبف للسيوطي ص28
(3) كشف الظنون (1/35) ، وبسط ابن خلدون
القول في بيان هذه الأهداف في المقدمة (2/230 ، 231)
(4) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (1/86) وعنه السيوطي في تنوير الحوالك (1/7)
(5) التعريف بآداب التأليف ص23،24
(6) مجموع الفتاوى(8/108)
(7) المجموع شرح المهذب (1/30)
(8) الإنصاف في مسائل الخلاف ص264
(9) أخرجه البخاري (3/357) ومسلم (1/50)

الورقـة الأخـيرة

الهجـرة غـربـاً

د. وحـيـد عطـية المصري

يجذب انتباه المطالع للصحافة العربـيـة الـيـومـيــة الإعلانات المتكررة لمكاتب الهجرة إلى الخارج التي تحث أصحاب الخبرات العلمية ورؤوس الأمـــوال على الهجرة إلى الغرب ، كذلك يجد المتتبع لتلك الإعلانات أن فحواها كُتب بطريقة خبيثة ومغرية لجذب «الزبائن» لبضائعها! وعادة ما تذكر تلك الإعلانات العديد من المميزات مثل:

*نظام الضمان الاجتماعي للمستحقين.

* الرعاية الصحية المجانية.

*التعليم مكفول للجميع.

*الاستقرار والأمان والحريـة.

لذلك يجد الكثير من أبناء المسلمين المضطهدين في بلدانهم المؤهلين تأهيلاً عالياً ضالتهم في مكاتب الهجرة تلك ، ويقبل عليها المضطرون اضطراراً أو أصحاب الثروات الخائفين من مصادرتها بطريقة أو بأخرى ، وغالباً ما يجد العلماء والمهندســـون والأطباء والمحاسبون فرص عمل ممتازة في البلاد الغربية مقارنة بما يجدونه في بلادهم، بل إن الـعـديــد منهم يبزون نظراءهم الأجانب ويتقلدون أعلى المناصب في المؤسسات والهيئات التي يعملون بها.

إن الأمر ليس بمقصور على مكاتب الهجرة فحسب ، بل إن المشاهد لطارقي أبواب بعض السفارات يطلبون معلومات واستفسارات عن الهجرة يتيقن تماماً أن نزوح الخبرات المسلمة فـي تزايد مستمر ، وهو من غير أدنى شك يؤدي إلى النزوح المعاكس للخبراء الأجانـب إلى بلاد بعض المسلمين بمميزات خاصة لا تتوفر لأبناء المسلمين في بلدانهم!

غـيـر أن كل ما سبـــق من مغريات للعيش في بلاد الغرب يجب أن لا ينسينا ما يواجهه الغرب من انهيار في الـقيم والأخلاق، بالإضافة إلى ما سيواجهه المسلم هناك من مشكلات، منها على سبيل المثال لا الحـصـــر: أداء الفرائض بصفة عامة، وتربية الأبناء وتعليمهم، وخطر تأثير المجتمع المختلط على الأسرة المسلمة.

وهناك أسئلة عدة تطرح نفسها: هل توضح مكاتب الهجرة المميزات والأخطار «للزبون»، أم تعميه بذكر المميزات التي يفتقدها في بلاده فقط؟ لماذا تبحث مكاتب الهجرة عن المسلمين سواء أكانوا خبراء أو مستثمرين وتشـجـعـهـــم عـلى الهجرة؟ وإلى متى هذا التزاحم على مكاتب الهجرة وأبواب السفارات الأجنبية من أبناء المسلمين؟

ليس المطلوب من علماء المسلمين ومفكريهم محاربة هذه الظاهرة فحسب، بل عليهم أيضاً إيجاد الحلول والتشريعات اللازمة للمحافظة على العقول المسلمة، وتكريمها، وإعطائها الثقة الكاملة في سبيل النهوض بالأمة الإسلامية لتصبح الرائدة بين الأمم في شتى نواحي الحياة.

تمت بعون الله والحمد لله رب العالمين
